ركض مسرعا إلى عربة السيدات في مترو الأنفاق، قبل أن ينغلق الباب دخل العربة وانغلق الباب، ربما لو كان تأخر ثانية لكان الآن في وضع آخر تنهد في راحة وتنفس الصعداء، ووضع حقيبة كبيرة كان يحملها على الأرض ثم أخذ بعض الأشياء منها وبدأ يضعها في حجور الركاب بالترتيب، وهو يقول:
- أي حاجة بسعر الجملة مرايات ، اكسسوارت ، توك شعر، ميكياجات

اشترت منه واحدة ربطة شعر وسألته الأخرى عن سعر قلم كحل، ولم تشتر لملم أشياءه من الجميع في عجالة ووضعهم في الحقيبة كما كانوا، ووقف عند باب النزول لم يلبث دقيقة حتى جاءت المحطة التي تليها نزل وركب العربة الأخرى وعاد تلك الكرة إلى نهاية اليوم، كان أحيانا يدخل عربة يبيع كثيرا، وأحيانا يبيع أشياء بسيطة وأحيانا لا يبيع شيئا.

*****

بعد منتصف الليل جلس أحمد علي سريره يعد نقوده التي جمعها اليوم، ويجرد ما كسبه وما سيبتاع به بضاعة غدا في بكور اليوم. أخذ عشرة جنيهات وضعهم في جيبه الأيسر لمصاريف يومه وأخذ عشرون جنيها وضعها علي السرير، وأخذ عشرين آخرين ووضعها في مظروف في درج الكومودينو، وأدخل النقود الباقية في جيبه الأيمن تلك النقود التي سيبتاع بها البضاعة غدا، أخذ العشرون جنيه وذهب لحجرة أبيه وأمه ووضع العشرين جنيه علي الكومودينو، شعرت أمه بحركته ففتحت عينيها وقالت بصوت ناعس :
- اتأخرت كده ليه يا أحمد

قال أحمد بصوت خفيض:

- قعدت مع صحابي شوية علي القهوة

- حد من اخواتك صاحي
- لا كلهم نايمين

- طب اقوم اجبلك تاكل

- لا ياماما خليكي انا هاجيب لنفسي

تنحنحت عزيزة أمه وقالت:

- أبوك محتاج علاج النهاردة كان تعبان أوي عشان بقاله فترة في علاج ليه خلصان

ألقى أحمد نظرة أسى على والده المريض النائم جوار أمه ذي الجسد النحيل القابع تحت الغطاء، ولا يتبين منه سوى وجهه البارز منه عظمتا خديه المهلك من شدة المرض وقال :

- وماقولتوليش ليه ياماما ان في علاج ناقص

- مابنحبش نتعبك يابني كفاية مصاريف البيت

قال أحمد بلوم:
- تعب ايه ياماما اومال أنا بشتغل عشان مين مش عشانكم واستطرد عايزه فلوس قد إيه للعلاج
- ١٥٠

رجع حجرته اخرج من المظروف مئتي جنيه ذلك المظروف الذي يدخر فيه المال لعلاج أبيه وللظروف الطارئة وعاد إلى أمه أعطاها المال وقال:

- دول ٢٠٠ جنيه جيبي له زيادة عشان ماينقصش ويتعب وأشار لها على العشرين جنيهاً الموضوعة علي الكومودينو وقال:

- ومعلش سيبتلك عشرين جنيه بس لمصروف البيت عشان النهاردة الشغل كان ضعيف

قالت عزيزة:
- ربنا يقويك يابني ويفتحلك أبواب الرزق ويرزقك من وسع ويبعد عنك ولاد الحرام.

ابتسم أحمد وقبل يد أمه وغادر الحجرة وأغلق الباب خلفه، كان عليه أن يذهب إلى المطبخ كي يحضر طعاما له، فقادته قدماه إلى حجرته فقد ذهبت شهيته، ارتمى على سريره ونام سريعاً ولم يفكر كثيراً، لا لأنه ليس لديه هموم أو أحلام يفكر بها ولكن مشقة يوم كامل كافية لتجعله ينام حينما يضع رأسه على وسادته.

*****

أراحت جسدها على الرف الذي بجوارها، ونظرت في ساعتها ثم زمت شفتيها في ضيق، وأخرجت هاتفها نظرت في ساعته رأتها الرابعة والنصف مساء، بقي على

انتهاء العمل نصف ساعة.

مر حسين زميلها في العمل من جوراها، وكان حاملا على ذراعيه كراسات حتى رقبته فقال:
- أيوه احنا نتعب وانتوا تأنتخوا ياريتني بنت

ضحكت رحمة وقالت :
- بطل حقد بقى يابني واسترجل شوية
- ماشي ماشي

كانت رحمة تعمل في مكتبة أدوات مدرسية وورق طباعة وأدوات رسم وكل مايخص تلك المجالات، تبيع جملة ومفرق في منطقة الفجالة بالقاهرة.

دلفت طالبة وقفت معها رحمة حتى ابتاعت عدة أدوات، وجاءت الساعة الخامسة كان مجدي وهبة صاحب تلك المكتبة واقف علي البنك الخاص بالمكتبة يعد ورقات المال ويلفهم بأستك مطاط ويدون عليهم مبلغهم، ذهبت رحمة إليه وقالت:
- يا استاذ مجدي الساعة ٥ انا همشي بقى

رمقها مجدي من خلف النظارة، وهو يعد وانتظر حتى انتهى من عد الرزمة التي في يده وقال:
- اتفضلي

تنحنحت رحمة في حرج وقالت:
- النهاردة اخر الشهر

فهم مجدي ماتقصد وقال:
- اه القبض معلش مخدتش بالي

ابتسمت رحمة مجاملة وقالت:
- ولا يهمك

أخرج مجدي رزمة من المال وعد ثماني مئة جنيها وأعطاهم لها، أخذت ورقات المال وخرجت من المكتبة ونزلت في مترو الأنفاق محطة الشهداء، قطعت تذكرة ووقفت علي رصيف اتجاه حلوان.

جاء المترو وصعدت بعناء فهذه المحطة أكثر المحطات ازدحاما لموقعها في وسط

القاهرة.

وقفت وسط الزحام لم تستأ فقد تعودت على ذلك، حتى جاء المترو في محطة الزهراء وبدأ الزحام يقل رويدا رويدا، وخلا مقعد بجوارها وعلى الفور جلست عليه.

*****

دخل أحمد تلك العربة في محطة دار السلام، وكما يفعل دائما يضع الحقيبة وسط العربة ويمر علي الركاب يضع بعض من حجياته في حجورهم وينادي نداءه:
- أي حاجة بسعر الجملة مرايات ، اكسسوارت ، توك شعر، ميكياجات.

وضع في حجر رحمة مجموعة أمشاط، أمسكتها رحمة وجهزتها في يدها لكي تعطيها له فمحطة نزولها قربت، حتى جاء عندها أعطتها له ثم بعد قليل تذكرت شيئا، فنادت عليه وقالت:
- بسبس يا كابتن

فنبهته امرأة كان بجوارها يستعد للنزول في المحطة القادمة، وقالت له:
- كلم يابني واحدة بتنادي عليك

نظر أحمد تجاه إشارتها وذهب إلى رحمة قالت له:
- معاك ساعات!

- اه معايا

- معاك النوع اللي طالع جديد ده المشغول وفيه ألوان كتير

- اه معايا كل حاجة هفرجك

وأخرج من الحقيبة الساعات التي معه

اختارت رحمة ساعة وقالت:

- بكام دي

- ب٢٥

فأخرجت رحمة مرتبها وكان أربع ورقات، الورقة مئتي جنيه، أعطته مئتي جنيه، فعقد أحمد حاجبيه وقال:

- ماعكيش فكة؟

زمت رحمه شفتيها وقالت:
- لا للأسف

سأل أحمد الركاب إن كان أحد معه فكة مئتي جنيه فلم يتلق ردا، لم يكن أحد معه أو بالأحرى لا أحد يريد أن يشغل نفسه فقالت رحمة:
- انا هنزل المحطة الجاية

قال أحمد:
- وانا كان المفروض انزل المحطة اللي فاتت

جائت محطة المعادي فنزلت رحمة ونزل معها

وقفا على الرصيف، فسأل أحمد أحد المارة عن فكة مئتي جنيه ولم يجد معه، فقالت رحمة:
- هنفك منين

قال أحمد يائسا:
- خلاص هطلع معاكي بره المحطة نفك وادخل تاني وخلاص

خرج معها وصرّف مئتي جنيه من أحد المحلات

فأعطاها مئة وسبعين جنيها، وبقي لها خمسة الجنيهات لم تكن فكة مئتي الجنيه تحتوي علي خمسات فأصغر فئة كانت عشرة جنيهات فقال أحمد:
- ماعطانيش فيها خمسات .. وانا مش معايا تاخدي حاجة بالخمسة

قالت رحمة:
- انت بتبقى في المترو كل يوم!

قال أحمد باستغراب:
- اه ليه

- خلاص ابقى اخد الخمسة لو شوفتك انا ببقي في محطة الشهداء علي ٥وعشرة كده مثلا
عقد أحمد حاجبيه وقال:

- وانا هلاقيكي ازاي لا استني نفك

قالت رحمة باستعجال:
- مش مشكلة بقى اصلي متأخرة

قال أحمد:
- طب خدي اي حاجة بيها

غادرت رحمة وهي تقول:
- مش لازم مش لازم
رفع أحمد حاجبيه، وقلب شفته السفلى في تعجب وعاد إلى المترو مرة ثانية.

*****

دلفت رحمة منزلها ألقت التحية على أمها وشقيقتها الصغرى ودلفت حجرتها بدلت ملابسها وأدت فريضة المغرب واستلقت على سريرها ونامت ثلاث ساعات. وكان قد عاد أخوها حازم ثم أبوها من العمل، وقامت صفاء والدتها تجهز لهم طعام العشاء وأيقظت رحمة لتناول العشاء، وأثناء تناولهم الطعام قالت صفاء موجهه حديثها لرحمة:
- قبضتي

قالت رحمة:
- اه الفلوس جوه وابقي سيبيلي ٣٠٠جنيه مصاريف

كانت صفاء تأخذ من مرتب رحمة وتبتاع لها أشياء لتجهيزها كأطباق وأطقم حلل وملايات سرير وهكذا، فقال شاهين أبوها:
- ماتسيبيلها الفلوس اللي بتشتغل بيها تصرفها انا ابوها ياصفاء وانا اللي هجهزها انا لما سمعت كلامك ووافقت انها تشتغل مش عشان تجهز نفسها وافقت بس عشان قاعدة البيت وحشة وهتخنقها

قالت رحمة:
- يابابا انا وانت واحد وانا مش هحتاج باقي الفلوس في حاجة ال٣٠٠ هيكفوني طول الشهر. واستطردت وهي تأكل:
- ربنا يخليك ليا ياحبيبي يارب

قال شاهين:

- ماتكلنيش بس في الكلام خلي فلوسك لنفسك وانا ربنا يقدرني واجبلك اللي انتي عايزاه

قالت صفاء:
- ماتتحمقش اوي كده انت معاك بنت تانية لسه عايزالها بلاوي وابنك عايزله شقة وعفش وشبكة وموال هو التاني

احنا لو اعتمدنا على قبضك بس مش هنجهز العيال في خمسين سنة

عدل حازم نظارته الطبية وصمت ولم يعقب.

اقتنع شاهين بذلك الكلام نوعا ما، وقال مستسلما:
- ياساتر عليك خلاص اعملوا اللي تعملوه الحق عليا

*****

استلقى أحمد علي سريره يفكر كيف يعطي للفتاة التي ابتاعت منه الساعة خمس الجنيهات، ثم راوغه فكره ماذا لو كان غنيا مثل تلك الفتاة، لم تعبأ بخمس الجنيهات، وهو من الممكن أن يقضي مصروف يومه بخمس الجنيهات فقط، وكان مبلغ من المال معها في يوم ومن الممكن أن يجمعه هو في شهر، كان ذلك فكره وهو لم يعرف أي شيء عن حياتها. فدائما الإنسان ينظر إلى الأشياء من منظوره هو دون أن يعلم ماخلفها من تفاصيل أدت إلى ذلك.

*****

قامت رحمة باكرا لتذهب إلى عملها كانت معتادة أن تستيقظ قبل خروجها من بيتها بنصف ساعة فقط، تفعل كل شيء في عجالة وتنزل إلى العمل حتى أنها كانت لا تفطر في منزلها كانت تبتاع أي شيء كشطيرة أو قرص ومعها شيبسي أو أي رقائق من المقرمشات وتأكل في المترو أو في المكتبة، ركبت المترو ونزلت في محطتها ودخلت المكتبة وجدت حسين جالسا، وليس لديه عمل، ألقت عليه التحية وعلقت في رقبتها الشريط الذي فيه البطاقة التي تحمل اسمها وقالت لحسين:
- تقى لسه ماجتش!
- لا لسه

جلست رحمة قبالته وقالت:

- في جديد في موضوع منى

- مش عارف بس حاسس بتطور

- ايه اللي حصل

- وهي بتقدملي الشاي امبارح قالتلي ازيك

قطبت رحمة جبينها وعوجت شفتاها وقالت:
- عشان قالتلك ازيك حاسس بتطور انت اهبل يابني ماانت ابن عمها طبيعي انها تقولك ازيك يعني

قال حسين:

- لا ماهو قبل كده ماكنش فيه ازيك
- اومال كان في ايه!

- كنت انا اللي بقولها ازيك وهي تقولي الحمدلله

جزت رحمة على أسنانها وقالت:
- صبرني يااارب ما انت ماكنتش بتديها فرصه تسألك اصلا. واستطردت قائلة:
- يابني اتلحلح شوية انت بتقول كان متقدملها عريس الاسبوع اللي فات

قال حسين بضيق:
- طب اعمل ايه؟

قالت رحمة:
- عرفها ما انت لسانك هنا مترين. واستطردت مداعبة: انت بتتكسف يا ولا. قالت ذلك وضحكت.

فقلد ضحكتها بسخرية وقال:
- هيهيهي ايه الغلاسة دي. واستطرد حسين بجدية: يابنتي مش حكاية مكسوف بس دي بنت عمي يعني هخون ثقة عمي ومرات عمي واخواتها فاهمة، ماينفعش طبعا اقولها.

حسين ورحمة تربطهم صداقه قوية ليس غير ذلك. علاقة لا يشوبها أي شيء آخر وكان حسين يبوح لها بكل أسراره وهي كذلك.

أثناء جلوسهم سمعا مجدي يعنف تقى على تأخيرها المتكرر وقال بصرامة:
- المرة الجاية لو اتأخرتي ماتجيش.

تجمعت عبرات تقى وذهبت من أمامه واتجهت إلى رحمة فأخذتها رحمة بين ذراعيها وقالت:
- خلاص يا تقي بقي معلش ماتبقيش تتأخري تاني

قالت تقى باكية:

- والله بطلع بدري بس المواصلات اللي بتأخرني الاتوبيس ساعات - بيجي متأخر ومابلحقش مكان واصلا مابيبقاش في شغل الصبح بذمتكم عملتوا حاجة من ساعة ماجيتوا !

ظل حسين ورحمة يواسيا فيها إلى أن هدأت

*****

كانت الساعة الخامسة والخمس دقائق وأحمد في محطة منشية الصدر، ظل يدعو أن يصل الشهداء قبل الخامسة وعشر دقائق لكي يبحث عن صاحبة خمس الجنيهات ويعطيها لها، فبرغم فقره لا يقبل على نفسه ولو قرشا واحدا حراما، جاءت محطة غمرة كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق، نظر في ساعة هاتفه مستاءاً وفقد الأمل في ملاقاتها اليوم، ولكن وصل محطة الشهداء ووقف عدة دقائق لعلها تكون تأخرت في هذا اليوم ويجدها حتى يئس ودخل العربة التي استقرت أمامه ووضع حقيبته وأخرج بعض حاجيته ونادى نداءه.
*****
- تعالي اوريكي الحاجات اللي جبتهالك في الجهاز.

قالتها صفاء لرحمة بعد العشاء، رأت رحمة الاشياء التي جلبتها لها أمها بجزء من مرتبها، أعجبوها كثيرا وقالت لصفاء:

- الشهر الجاي بقي جبيلي صواني تيفال

- ان شاء الله

*****

مرت أيام وكان أحمد يوميا يقف في محطة الشهداء في الموعد الذي قالته رحمة حتى أن رحمة تناست أمر تلك الخمس جنيهات لأنها من الأساس هي من تعمدت أن تتركها له، كانت عندها عادة تفعلها كل قبض لها، أن تخرج مبلغا ولو بسيطا لوجه الله. أحمد لا يبدو عليه الفقر بالعكس هو شاب وسيم وجسده رياضي وملابسه أنيقة ونظيفة، فكان أحمد يحافظ على مظهره، ولكن هي رأت أن لا حاجة تقود شابا كذلك لهذه المهنة إلا الفقر فتركتها له بنفس راضية، حتى جاء يوم ورآها أحمد في هذا الموعد، وهي متجهة نحو العربة، صعد معها بسرعة وقال لها:

- اخيرا دوختيني عليك ياشيخة انا كل يوم باجي ٥وعشرة ومابلاقيكيش

استغربت رحمة أنه متذكر ذلك الموعد ومهتم أن يعطيها الجنيهات الخمس

فقالت:

- انت لسه فاكر والله لو اعرف اني هغلبك كده كنت خدت اي حاجة بيها وخلاص

أخرج أحمد الجنيهات الخمس وقال:

- طب خدي اهي

قالت رحمة:

- لا هاخد حاجة بيها

رأت ما على الحقيبة من فوق واختارت أي شيء وعندما توقف المترو في المحطة التالية رآه ضابط، فدخل العربة أمسك أحمد من ياقته وقال:

- راكب عربية السيدات ليه يالا

حاول أحمد أن يفلت نفسه منه وهو يقول:

- انا ببيع مش راكب اعاكس

استفز الضابط ذلك الرد فصفعه على وجهه فكيف لبائع أن يرد على ضابط متغطرس كهذا، فشهقت رحمة وقال الضابط بصوت عال:

- ما البيع هنا ممنوع احنا مش في سوق يا روح امك وهيتعملك محضر تسول وهتدفع غرامة عشان راكب في عربية السيدات.

وعندما استقرت العربة في المحطة التالية أخذ الضابط أحمد ونزل فنزلت رحمة وراءه ذهبت للضابط وقالت بجرأة:

- على فكرة هو ما اجرمش مش كفاية مش موفرين ليه شغل كمان بتحاربوه في اكل عيشه عايزينه يسرق هو ده اللي هيرضيكوا مثلا ،، وفروله الوظيفة وحياة كريمة وبعدين ابقوا حاسبوه واسترسلت في الحديث يعني خلاص طبقتوا كل حاجة في القانون وجت علي دي وعايزين تطبقوها

نظر لها الضابط نظرة استحقار وقال:
- عايزة ايه يابت غوري في داهية بدل ما اخدك القسم اخلي العساكر يطلعوكي حامل.

تلك الكلمة سرت في أوصالها قشعريرة وخافت، وقالت بصوت مرتجف بعض الشيء:
- طب سيبه هو ماعملش حاجة

نظر لها أحمد وقال بصرامة:
- امشي مالكيش دعوة بيا انا ماعرفكيش اصلا

صدمت رحمة من رده ولكنه قال ذلك لتبتعد، خاف من أن يأخذها الضابط إلى القسم بسببه.

قال الضابط بسخرية لاذعة:
- الله هتعملولي فيها روميو وجوليت وحياة امكم لاخدكم القسم اعملكم انتوا الاتنين محضر

قال أحمد بضيق:
- والله انا معرفهاش ولا هي تعرفني
تغير لون رحمة وخافت ولم تعرف ماذا تفعل وكان أحمد يريد أن يقتلها في ذلك الوقت، لو كان وحده كان لا يهمه شيء، ولكن هو يعرف حقارة بعض أفراد الشرطة كالضابط الماثل أمامه وهي أنثى، تذكر أخته في موضعها ولكن أسعف القدر رحمة وتذكرت أن حسين له قريب من العائلة مدير أمن يدعي نبيل حمدي كان حسين قد حكى لها موقف وذكره فيه، فقالت بثقة وراءها رعب حقيقي:
- عادي خالي مدير أمن وكلمته مسموعة هتصل بيه وبكلمه منه ينقلك اسوان

حسبها الضابط تهزي فقال بغطرسة:

- هو كل ما امسك حد يقولي خالي وعمي

ثم قال بلهجة شديدة:

- قدامي يابت انتي وهو علي القسم وحياة امكم ليتعمل عليكم حفلة النهاردة.
كان يقف عسكري بعيدا عنهم وتابع المشهد من أوله بكل تفاصيله، كان ينظر لهم نظرة مليئة بالأسى ولكنه يعلم أنه إذا تدخل سيقضي نصيبا من الحفلة معهم.

قالت رحمة بثقة:
- علي فكرة مش بهزر اسمه نبيل حمدي
وزعمت أنها تبحث عن بطاقة له في حقيبتها فوقع هاتفها والتقطه احمد.

ارتعب الضابط عندما سمع الاسم وتنحنح ورقق صوته وقال بابتسامة صفراء:
- طب مش تقولي من الاول يافندم علي العموم انا اسف علي سوء التفاهم ده

نظرت له رحمة نظرة انتصار وقالت:
- طب ابقي خلي بالك بقى طالما بقيت بالمعارف

ومشت هي وأحمد، فقال أحمد بغضب بعدما ابتعدا عن الضابط:
- ايه اللي نزلك معايا انتي مش بتنزلي في المعادي

قالت رحمة بإنفعال:

- يعني لو كان عملك غرامة وخدك القسم كان هيبقي حلو

- انتي مالك انتي تعرفيني

تضايقت رحمة من أسلوبه فرمت له فرشاة الأسنان التي كانت أخذتها حين جاء الضابط على حقيبته وقالت:
- عندك حق انا ماليش اني اتدخل

ومشت فشعر بقلة ذوقه معها فلحق بها وقال:
- استني

توقفت وقالت:

- عايز ايه!

- على فكرة انا مش قليل الذوق زي ماانتي شايفة كده .. بس الموقف عصبني شوفتي قالك ايه لو كنتي زودتي في الكلام او مالكيش خال في الشرطة كان هيضيع مستقبلك انا خوفت عليكي عشان عندي اخوات بنات

ضحكت رحمة وقالت:
- انا معنديش خيلان اصلا

عقد أحمد حاجبيه في استغراب وقال:

- يعني كدبتي علي الظابط

- حاجة زي كده

قال أحمد بفضول:

- اومال مين نبيل حمدي ده

- ده قريب زميلي في الشغل

مسك أحمد فرشاة الأسنان وقال:
- طب خدي بقى فرشة السنان بالخمسة جنيه اللي كانت هتضيعنا دي

أخذتها رحمة ومشت فقال أحمد:
- انتي اسمك ايه

استدارت رحمة وقالت مبتسمة:

- رحمة

- وانا احمد

ودعته بابتسامة وانتظرت قدوم المترو حتى جاء واستقلت.

عكر مزاج أحمد ما حدث من إهانة الضابط له أمام جمع من الناس، وذلك لم يكن هينا على إنسان عنده كرامة وعزة نفس.

فأخرج هاتفه واتصل بصديقه عبدالله وعرف أنه على المقهى مع صديقه محمد الهواري، فذهب إلى المقهى الذي يجلسون فيه دائما في منطقتهم فهو من قاطني ضواحي السيدة زينب، ذهب إليهم وهو مستاء وقص لهم ما حدث، فقال هواري -هكذا ينادونه-:
- يابني سيبك من الشغلانة دي وشوف حاجة تانية قولتلك شغلة متعبة وماسمعتش كلامي

قال أحمد:
- انا ماكملتش فيها شهر واتخنقت منها بس مش لاقي حاجة تاني دلوقتي

قال عبدالله:
- ما انا بقولك تعالى معايا اشتغل دليفري مارضتش

قال أحمد:
- ياعم الشغلة دي بتكفي نفسك بس ابوك ربنا يديله الصحة بيصرف على بسمة وعمر إنما انا عايز حاجة تكفيني وتكفي علاج ابويا والبيت.

قال عبدالله مداعبا:
- مين قال كده ده انا نص مرتبي بصرفه على اختي بسمة خاربة بيتي

قال أحمد:
- ربنا يخليهالك
فقال هواري موجها حديثه إلى أحمد:
- هو ابوك مش بياخد معاش

قال احمد:
-٦٠٠ جنيه وبيخلصوا اول ما يتقبضوا على الأقساط والجمعيات

قال هواري:
- الحال من بعضه ربنا يعينك يا صاحبي

*****

كانت الساعة الثانية عشر منتصف الليل بحثت رحمة عن هاتفها لتضبط المنبه لم تجده، فاكتشفت في تلك اللحظة أنه سقط منها ولكن لا تعرف أين سقط؟ فعندما سقط وهي تكلم الضابط من ارتباكها لم تشعر أنه سقط فزمت شفتيها في ضيق وأخذت هاتف أمها ودقت على رقم هاتفها، وهي تدعو أن يكون سقط ولم يسرق، فلو سرق سيفك السارق الشريحة ويحطمها. سمع أحمد وهو مستلق على سريره رنين هاتف في حقيبة العمل، فقد نسي تماما أمره عندما وضعه، والآن تذكر فتح الهاتف فسمع صوت رحمة تقول:
- سلام عليكم

قال أحمد:

- وعليكم السلام

بدا الصوت لرحمة مألوفا ولكن لم تعلم أنه أحمد فقالت:
- الموبايل ده بتاعي ووقع مني

قال أحمد:
- اه معلش لما وقع انا خدته ونسيت اديهولك

عقدت رحمة حاجبيها استغرابا وقالت:

- انت مين!

- انا احمد اللي اشتريتي مني الساعة

ميزت الآن صوته فاتسعت ابتسامتها وقالت:

- ااه طب هاخده ازاي معلش هتعبك

- ولا تعب ولا حاجة بكرة ٥وعشرة في الشهدا هجيبهولك

قالت رحمة بامتنان:
- شكرا

قال أحمد :
- العفو

فقالت رحمة:
- سلام
قالتها وانتظرت إلى أن قال هو الآخر سلام وأغلقت.

*****

فرحت رحمة أنها ستراه لا تعرف لماذا جاءها هذا الشعور؟ كان أحمد غامضا، ربما يكون غموضه هو من جذبها ضبطت منبه هاتف أمها واستلقت على سريرها مستعدة للنوم، ولكن طار النوم من عينيها وظلت تفكر في أحمد وما حدث معهم اليوم، برغم أن كلامه معها كان فظا إلا أنها عذرته، فمعه الحق حتى هو فسر موقفه وقال لها أنه خاف عليها، ظلت تتذكر تلك الكلمة برغم أنها لو كانت أي فتاة أخرى في موضعها سيخاف

عليها إلا أن تلك الكلمة ظلت تترد في مسامعها حتى راحت في النوم، فهي تبلغ من العمر ٢٣عاما، ولم تكن في علاقة وبالطبع هي تحتاج أن تشعر بأنها مؤثرة في حياة أحد وعندها أحد يخاف عليها ويشعِرها بيقمتها فقط هذا الشعور الذي تحتاجه

*****

استيقظت رحمة حين سمعت المنبه، قامت نشيطة واختارت ملابس أنيقة ولبستها وذهبت إلى العمل، دائما تدخل المكتبة في تمام موعدها أو قبله لم تجد حسين ولا تقى دقيقتان وجاء حسين سألها:

- تقى جت

- لا ربنا يستر

كانت الساعة الثامنة والنصف ولم تأت تقى وكان من المفروض أن تحضر الثامنة، بعد خمس دقائق جاءت تنهج، مرت من أمام مجدي وقالت:
- سلام عليكم
داعية في سرها أن لا يوبخها

قال مجدي:
- وعليكم السلام استني يا تقى

وقف حسين ورحمة يراقبان ماذا سيحدث

وقفت تقى وقالت وهي تبتلع ريقها:
- ايوه يا استاذ مجدي

قال مجدي:
- الساعة كام

قالت تقى :

- ٨ونص معلش المواصلات كانت وحشة

- الساعة ٨ونص وخمسة يا استاذة. وأخرج من الدرج ٤٠٠ جنيه أعطاهم لها وقال:

- دول حق ايامك في الشهر ده وزيادة ماتجيش تاني

ذهب حسين ورحمة إلى مجدي وظلا يترجوه أن يعطيها فرصة أخرى ولا جدوى ودعت تقى حسين ورحمة وغادرت، وقف حسين ورحمة صامتين، فقال مجدي:

-انا ماظلمتهاش هي اللي مابتحترمش مواعيدها. لم يرد عليه أحد فقال:
- لو عندكم حد عايز يشتغل هاتوه
اومأ حسين ورحمة بالإيجاب.

*****

نزلت رحمة المحطة وانتظرت دقيقتين وجاء أحمد في تمام الموعد، قالت له رحمة ممتنة:

- شكرا معلش تعبتك

- ولا تعب ولا حاجة هو وقع بسببي اصلا

قالت رحمة مبتسمة:
- الحمدلله انا كنت بحسبه اتسرق

ابتسم أحمد مجاملا وهمّ أن يرحل، لاحظت رحمة أن ليس معه حقيبة البيع فقالت بإستفسار:
- اومال فين شنطة الشغل

قال أحمد:

- مش هشتغل في المترو تاني

- اومال هتشتغل فين!

- لسه مش عارف

قالت رحمة متذكرة:
- سبحان الله النهاردة واحدة مشيت من المكتبة اللي انا بشتغل فيها وصاحب المكتبة قال لو تعرفوا حد ييجي مكانها

قال أحمد مفكرا:

- والمرتب كام بقي

- انا بقبض ٨٠٠ بس انت لو جيت تقريبا هتاخد١٢٠٠

- اشمعنى

- عشان انا بنت مابشيلش واحط زيكوا يعني اخري ابيع ارتب بس

رآه أحمد مرتبا مناسبا فقال:

- تمام اجي من امتي بقي

- من بكرة لو تحب بس اهم حاجة مواعيدك تبقي مظبوطة اصل استاذ مجدي طرد تقى النهاردة عشان مواعيدها

رفع أحمد حاجبيه وهرش مؤخرة رأسه وقال:
- طرد واحدة عشان اتأخرت اومال انا لو اتأخرت هيعمل ايه مش بعيد يرميني تحت المترو

ضحكت رحمة وقالت:
- هي مش اول مرة تتأخر بس هو طردها من باب الرخامة برضه عشان ماتجيش وتتفاجئ بيه انه رخم بس مين عالم يمكن حصل كده عشان انت تشتغل مكانها ربنا اللي بيدبر كل حاجة

قال أحمد بجدية:
- ونعم بالله طب المعاد الساعة كام بقى ومكتبة ايه

أشارت له رحمة علي أحد المخارج وقالت:
- استناني بكرة ٨ إلا عشرة اول ما تطلع من المخرج ده وانا هوريك المكان هي مش بعيدة اول ما تطلع على طول

ابتسم لها أحمد ممتنا وقال:
- شكرا يا رحمة

ردت الابتسامة وقالت:
- العفو علي ايه

جاء المترو وركبت رحمة عربة السيدات، وركب هو عربة الرجال وتفرق الاثنان.

*****

وقف أحمد في عربة المترو ولكنه اليوم أحد الركاب وليس بائعا، أخذ يفكر في ذلك العمل الذي قالت له عنه رحمة، كان عملا مناسبا بالنسبة له ولكن كيف يصرف علي بيته ذلك الشهر فقط، فمعاش أبيه لن يأخذوا منه مليما، يذهب جميعه لدفع أقساط وجمعيات. فكر ماذا سيفعل؟ فجاءت في ذهنه فكرة كان نسي أمرها، ورآها مناسبة أن يذهب إلى أحد محلات الهدايا والعطور، ويبيع له كل حقيبة العمل جملة. وبالفعل عاد إلى بيته أخذ الحقيبة وذهب إلى محل هدايا وعطور يعرف صاحبه معرفة سطحية، فعرض عليه أن يشتري منه تلك الأشياء بسعر ما يبتاع هو لمحله، وافق صاحب العمل وابتاع منه جميع ما في الحقيبة وأعطاه ثمنهم، أخذ الثمن وذهب إلى أمه أعطاها نصفهم وأخذ الباقي مصروف شهره، وأخبرها عن عمله الجديد الذي سيبدأ من الغد، وذهب إلى أصدقائه على المقهى وقص لهم ما قالته له رحمة فقال هواري:
- شكلها حبيتك علي فكرة وعلم على كلامي

ضحك أحمد بصوت عال وقال:
- حبيتني ايه ياعم هي اتعاطفت معايا بس

قال عبدالله:

- ياعم باين اوي انها علي الاقل استلطفتك مافيش واحدة هتعمل ده كله مع واحد عادي كده واستطرد مداعبا والنبي الواد يتحب يا هواري
فضحك هواري وأحمد، ثم قال أحمد بجدية:

- حب ايه ياجدعان انا ورايا مسئوليات كتير مصاريف البيت وعلاج ابويا وتجهيز ريم ومنار

*****

استيقظت رحمة متحمسة للعمل، فاليوم مختلف سيكون أحمد معها ذلك الذي قابلته ثلاث مرات ولكن في كل مرة كان يزيد إعجابها به، ولا تعرف هل هذا هو الحب الذي يتحدثون عنه أم لا؟ فقط كل الذي تعرفه أنها تكون سعيدة وهي أمامه خرجت قبل موعدها ببضع دقائق، ربما تكون ربع ساعة لكي تصل قبل أحمد ولا تجعله يقف كثيرا، وبالطبع وصلت قبل موعده وانتظرته حتى أتى قابلته بابتسامة مشرقة رد الابتسامة هو أيضا وقال:

- صباح الخير

نظرت رحمة في ساعتها وقالت:

- صباح الفل لا مواعيدك تمام

- ده انا هشرفك

ضحكت رحمة وقالت:
- طب يلا بينا

ذهبا سويا دخلا المكتبة فألقت رحمة التحية علي مجدي ووقف أحمد بجوارها رد مجدي التحية وقالت رحمة قبل أن يسأل مجدي :
- أحمد جبته بدل تقى ومواعيده مظبوطة.

فقال مجدي موجها دفة الحديث لأحمد :
- انت خريج ايه يا احمد وعندك كام سنة ومنين

استغرب أحمد أسئلته فكأنه سيتعين سفيرا، بينما فرحت رحمة فكانت تريد أن تعرف كل ذلك، فقال أحمد :

- اسمي أحمد كمال خريج حقوق عندي ٢٤ سنة من السيدة زينب

قال مجدي :
- يعني قريب من هنا كويس جدا واستطرد خديه يا رحمة عرفيه مبادئ الشغل

في تلك اللحظة دلف حسين، فقال مجدي:
- وحسين جه اهو علموه انتوا الاتنين بقي

عرفت الأول رحمة أحمد بحسين ثم أخذوه يعلموه ما سيفعله، فقال حسين موجها حديثه إلى رحمة :
- اقعدي انتي ياختي انا هعلمه على اساس انك بتعملي اللي انا بعمله.

قالت رحمة :
- يابني قولتلك بطل حقد وسِماوية بقي

قال حسين :

- وانتي بطلي كلمة سِماوية دي عشان اخر مرة سمعتها كانت في ٢٠٠٥ ستي الله يرحمها كانت بتقولها لأمي على مرات خالي

كان أحمد يتابعهم في صمت، يبدو أنهم على علاقة هكذا ظن

ضحكت رحمة وأنهت المزاح قائلة بجدية موجهة حديثها لأحمد :
- بص الشغل سهل جدا .. خلي النهاردة يوم استثنائي ليك واتفرج علينا بس وواحدة واحدة هتعرف كل حاجة واستطردت مداعبة بس ماتاخدش على كده هاه

لم يعجب حسين الكلام إذ سيتحمل هو اليوم كله

فهم أحمد نظراته فقال :
- لا انا هشتغل من دلوقتي

فقال حسين :
- اهو ده الكلام يلا بينا

أخذه حسين وقال له ما سيفعله وحملا البضاعة الجديدة إلى الداخل مع بعضهم ووضعوها على الرفوف، وجود أحمد خفف عن حسين كثيرا فكانتا تقى ورحمة فتاتين لا يقدرون على الحمل الثقيل وكان الحمل على حسين وحده

*****

انتهى موعد العمل راقبت رحمة بطرف عينيها أحمد، رأته يستعد للمغادرة فغادرت قبله لكي يقدم هو عليها ويمشون سويا، فكان حسين طريقه مختلف عنهم تماما، مشت تنتظر قدومه جاء وراءها تردد يمشي معها أم يذهب في طريقه، حتى جاء خلفها مباشرة وشعرت بخطواته، لم يعرف ماذا يفعل فلم تكن لديه خبرة نسائية ولم يعرف ماذا سيقول إن مشي جوارها، كانت علاقته بالجنس الآخر محدودة فمشي في طريقه دون أن يعيرها أي اهتمام، فعقدت رحمة حاجبيها في استغراب وزمت شفتيها ونادت عليه وقالت:
- أحمد

وقف أحمد واكتفى بابتسامة جاءت رحمة جواره وواصلا السير، فقالت رحمة:
- اصل طريقنا واحد مش انت من السيدة

- اه من السيدة

- اجدع ناس

قال أحمد مبتسما:
- ربنا يخليكي

فغيرت رحمة دفة الحوار لتفتح حديثا آخر وقالت:
- ايه رأيك في الشغل
- كويس ومش متعب اوي

كانت تسحب الكلام منه بصعوبة فقالت:
- وايه رأيك في استاذ مجدي وحسين

قال بنصف ضحكة:
- مشكلة استاذ مجدي انه فاكر مكتبته جناح عسكري

ضحكت رحمة وقالت:
- وحسين!

ذلك الاهتمام بحسين جعل شكوكه في وجود علاقة بينهم تقوى بداخله فقال:
- باين عليه جدع

قال ذلك وكانا قد نزلا إلى مترو الأنفاق فقال أحمد:
- استني هروح اجيب التذاكر

فأخرجت رحمة من حقيبتها جنيه لتعطيه له فنظر لها أحمد بضيق وقال:
- انتي عمرك ما مشيتي مع راجل قبل كده؟!

فقالت باستغراب:
- والله ابدا

فضحك هو وقال:
- ما اقصدش كده قصدي ان من الذوق ان ماينفعش تدفعي وانتي مع راجل يعني

ابتسمت وقالت:
- الكلام ده لو مرة أو مرتين لكن ده هيبقي كل يوم يعني لازم ادفع

قال أحمد ساخرا وهو يتجه إلى نافذة التذاكر:

- مش مشكلة ما هو يوم الجمعة اجازه هبقى اعمل حاجات كتير اوي بالجنيه في اليوم ده

ضحكت رحمة وانتظرته وهي سعيدة حتى جاء وأعطاها تذكرتها واتجها إلى رصيف اتجاه حلوان وقفت معه كانت تود أن تركب معه في العربة المشتركة فقال أحمد:
- يلا المترو جاي اهو روحي اركبي في عربية السيدات عشان الزحمة

تلاشت ابتسامتها وذهبت بعد أن لوحت له بيدها وقالت:

- سلام

- سلام

*****

وقفت وسط الزحام حتى جاءت محطة السيدة زينب كانت تعرف أنه سينزل هنا، حاولت أن تراه ولكنّ الواقفين قبالتها حجبوا عنها الرؤية.

نزل أحمد واتجه إلى المقهى الذي يجلس عليه دائما مع أصدقائه لم يكن أحد منهم هناك جلس بمفرده ظل شاردا بضع دقائق حتى جاء سمير العامل بالمقهى وقال:
- تشرب ايه يابو كمال

انتبه أحمد على صوته وقال:
- شاي ما انت عارف

ذهب سمير يحضر له كوب الشاي وأخرج أحمد هاتفه من جيب سرواله وأخذ جولة بين مواقع التواصل الاجتماعي لم يلقَ جديدا فأغلقه في ملل.

حتى جاء هواري جذب مقعدا وجلس قبالته وقال:

- احلى حاجة في شغلتك الجديدة انك بتخلص بدري يا رب تثبت فيها بقى

- يا رب

- ايه الشغل حلو ولا متعب ؟

قال أحمد:

- شغال مش وحش واستطرد قائلا هو عبدالله بيخلص شغل امتى مش المفروض يكون خلص ؟

- اه تلاقيه راح بيتهم يتغدى انا جاي بالصدفة معرفش انك هتخلص بدري كده

جاء سمير قطع عليهم الحوار وضع كوب الشاي أمام أحمد وقال:
- اجبلك الشيشة يا هواري ولا مش دلوقتي ؟

قال هواري:
- دلوقتي يا بو سمرة

*****

أطل حازم شقيق رحمة الأكبر من حجرته وقال:
- رحمة معلش تعالي اكتبيلي شوية ملاحظات هماليهالك عشان ورايا حاجات كتير وعايز انجز

نهضت رحمة من مجلسها وقالت:
- حاضر يا دكتور.

كان حازم حديث التخرج من كلية طب بشري، ويعمل على اختراع عقار يقضي علي الأورام السرطانية، كان ذلك حلمه ومكرسا كل وقته لذلك الاختراع الذي سيفيد البشرية إن حصل على براءة الاختراع وتبنته الدولة.

*****

دخل أحمد بيته وجد أشقاءه وأمه يبكون عقد حاجبيه وقال:
- في ايه ؟!

ولم يتلقَ ردا من أحد، فسأل شقيقه الأصغر ياسين الذي كان هادئا نوعا ما، وقال بقلق:

- بيعيطوا ليه يا ياسين؟!

قال ياسين باكيا:
- أبوك تعبان خالص وفضل يرجع دم النهاردة.

مد أحمد شفتيه في ضيق وقال:

- إن شاء الله هيبقي كويس

دلف حجرة أبيه ونادى على أمه، جاءت أمه قال لها وهو مازال عند الباب بصوت منخفض بحيث لا يسمع أبوه ولا إخوته:
- يا ماما الحمد لله بقى كويس اهو بدل ما تطمني اخواتي وتهديهم تعيطي وتخليهم يعيطوا زيادة

قالت عزيزة وهي تكتم بكاها:
- كان تعبان خالص يا احمد انت ما شوفتوش انا بحسبه بعد الشر بيموت
- بعد الشر ان شاء الله هيبقى كويس

قال ذلك ودخل جلس على السرير جوار أبيه.

*****

أنهت رحمة مساعدة حازم وذهبت إلى حجرتها وضبطت المنبه واستلقت على سريرها، جذبت الغطاء عليها داعب أحمد خيالها في رقة وجاء في ذهنها قوله

"انتي عمرك ما مشيتي مع راجل قبل كده؟"

قالت في تفكيرها:
- لا انت اول راجل واخر راجل ان شاء الله

ابتسمت عند ذلك التفكير وراحت في النوم

*****

نزلت رحمة من بيتها قبل موعدها بدقائق لكي تنتظر أحمد ركبت المترو ونزلت في محطة الشهداء، جلست على أحد المقاعد تنتظر أحمد انتظرت خمس دقائق فكرت أن ذلك ليس من الأدب أن تنتظره هي، من المفترض أن يفعل هو كل ذلك لأجلها وليس العكس، فقامت على الفور غادرت المحطة وذهبت إلى المكتبة، دخلت علقت في رقبتها الشريط الذي يحمل البطاقة التي بها اسمها وجلست وحيدة، فهي نزلت من بيتها قبل الموعد بقليل لذلك قدمت قبل موعدها.

دقائق وأتى حسين علق شريطة بطاقته في رقبته هو الآخر ، وألقى عليها التحية وجلس قبالتها يقص لها جديد ما حدث معه بشأن منى ابنة عمه التي يحبها، فدخل

أحمد وجدهم يتحاورون وعندما جاء وقف حسين حديثه فألقى عليهم التحية، وجلس بعيدا عنهم كي لا يزعجهم فوقفت رحمة تنادي عليه يجلس معهم وقالت:
- احمد قاعد لواحدك ليه تعالي اقعد معانا

قال أحمد:
- لا خليكم على راحتكم

قال حسين:
- يا بني هو احنا قاعدين على الكورنيش تعالى

قال أحمد:
- لا صدقوني انا مرتاح كده

دخل مجدي وأعطى لأحمد شريطة بها البطاقة التي تحمل اسمه وقال:
- كارنيهك اتعمل اهو

أخذه أحمد علقه في رقبته وقال مجدي:
- يلا يا حسين انت واحمد تعالوا دخلوا البضاعة جت

انصاعا لأوامره وأدخلا البضاعة ووقفت رحمة تبيع للطلبة المشتريين

*****

خرج أحمد الخامسة مساءًا بعد انتهاء العمل وخرجت رحمة وراءه مشت بجواره وقالت:
- انت زعلان من حاجة

قال أحمد:
- لا
- يعني هو ده طبعك ساكت كده على طول وشكلك حزين ؟!

قال أحمد بشيء من الحزن:
- يمكن.

قالت رحمة مغيرة دفة الحديث:
- عارف انا مكنتش اعرف انك جامعي

عقد أحمد حاجبيه وقال بنصف ضحكة:
- اشمعنى شكلي شحات ولا ايه

أدركت رحمة ما قالته فتلعثمت في القول وقالت:
- مش كده مش قصدي،، قصدي انك مكافح وكده وده صعب تلاقيه كتير في الجيل ده

أومأ أحمد برأسه في تفهم وقال:
- ساعات الظروف بتفرض عليكي حاجات ويا تبقي قدها يا تحسي بضعفك وعجزك فلما ابقى قدها بأي شكل احسن ما اكون ضعيف.

قالت رحمة مبتسمة:
- كلامك صح

وقفت وذهب أحمد يجلب التذاكر أعطاها تذكرتها واتجها إلى الرصيف فقالت رحمة قبل أن يأتي المترو :
- انت عندك فيس ؟!

ابتسم أحمد وقال:
- اسم الاكونت احمد كمال بالانجليزي

قالت رحمة:
- حاطط صورة ايه بقى ؟ ما انا هلاقي مليون احمد كمال

جاء المترو في تلك اللحظة فقال:
- صورة ابو تريكة

ابتسمت رحمة وقالت:
- تمام هروح ادخل المعركة بقى باي باي

وركضت إلى عربة السيدات .

فابتسم أحمد وصعد العربة التي استقرت أمامه

*****

جاء المترو عند محطة ماري جرجس وخلي مقعد جوار رحمة فجلست تنظر في وجوه من حولها تقاسيم كل وجه كان يعطيها أن خلفه حكاية يطول سردها، الشرود والحزن كان يكسو معظم الأوجه التي أمامها، كوجه أحمد الذي يقول أن حكايته كبيرة، فذهب خيالها إلى وجهه وظلت تفكر بحيرة ما الذي يجعله حزينا وشاردا معظم الأوقات هكذا، قد يكون مات أبوه أو صديقه أو أخوه، أو ماتت أمه أو أخته كانت تختلق أسباب وتحاول أن تقصي فكرة أن يكون أحب ولم يوفق، ومازال يحب حبيبته، فلم تستطع إبعادها فكانت تلك الفكرة الأرجح في رأسها، وجعلت الغيرة تدب في قلبها وتختنق نظرت أمامها رأت أماكن لم تألفها فوقفت عربة المترو في محطة ثكنات المعادي فقد تخطت محطتها نزلت على الفور وصعدت السلم عبرت به إلى الاتجاه الآخر اتجاه المرج.

*****

التف أحمد وإخوته وأبوه وأمه حول المائدة، يتناولون طعام العشاء، فقالت منار:
- احمد انا عايزة فلوس الدروس عشان المدرسين بيفضلوا يكسفوني كل حصة

وقالت ريم:
- وانا عايزة فلوس ملازم المراجعة

:وقال ياسين :
- وانا عايز فلوس الاشتراك بتاع الكورة زي اصحابي

فقالت عزيزة:
- بالراحة علي اخوكم شوية يا ولاد

هرش أحمد في أنفه وقال:
- طب ماينفعش الفلوس دي تستنى ١٠ايام بس اكون قبضت انا لسه رايح الشغل من نص الشهر ومكملتش كام يوم

زفر إخوته في استسلام وقالوا:
- ماشي

*****

في اليوم الثاني في المكتبة كانت رحمة جالسة على أحد المقاعد وحسين وأحمد

كانا انتهيا للتو من وضع البضاعة على الرفوف فقال مجدي:
- تعالى يا حسين انقل الكشاكيل دي دخلها المخزن

انصاع حسين لأوامره وشرع في نقل الكشاكيل

ثم قال مجدي موجها حديثه لأحمد:
- وانت يا احمد روح مكتبة الفن عند محمد محسن هات منه دستين كانسون واتنين فبريانو قوله استاذ مجدي وهبة باعتني اخد الاسكتشات هيديها لك انا قايل له

قال أحمد:
- فين المكتبة دي

هم مجدي أن يشرح له ثم قال ليريح رأسه:
- خديه يا رحمة عرفيه المكان

غادر أحمد ورحمة المكتبة فقال أحمد:
- هي المكتبة دي بعيدة

هزت رحمة كتفيها وقالت:
- انا معرفهاش اصلا كان بيوديني مكاتب غيرها
- طب ماقولتيلوش كده ليه ياناصحة
- هنسأل وخلاص

قال أحمد بحيرة:
- طب هنمشي ازاي في نواصي كتير

أشارت له رحمة على أحد الأزقة وقالت:
- هي غالبا في المنطقة دي فاحنا نمشي من الشارع ده ونسأل اي حد يقابلنا

مشى أحمد ورحمة جوار بعض فوقف أحمد وقال:
- هو استاذ مجدي قالي اجيب ايه انا نسيت

قالت رحمة ملمحة لأمر ما:
- اللي واخد عقلك يتهنا بيه. واستطردت: قال دستين كانسون ودستين فبريانو

قال أحمد :

- الحمد لله كنت هرجع اسأله تاني وشكلي كان هيبقي وحش وجودك جه بفايدة برضه

برمت رحمه شفتيها وقالت مداعبة:
- مش عارفة من غيري كنت هتعمل ايه
- فراخ بانيه

ضحكت رحمة وقالت:
- مع انها قديمة وبايخة بس ما انت بتعرف تهزر اهو .. ده انا كنت قربت اقتنع ان دمك تقيل بصراحة
- انتي مش عاجبك اي حاجة كده لا اسكت عاجب ولا اهزر عاجب
- لالالا هزر براحتك ياعم. واستطردت: اسأل الراجل اللي جاي علي العجلة ده بقى

مر رجل يقود دراجة هوائية بجوارهم فأوقفه أحمد وقال له:
- لو سمحت ماتعرفش مكتبة الفن فين

تنحنح الرجل وقال:
- هو قالك فين

قال أحمد:
- مش عارف هو قالي مكتبة الفن

قال الرجل:
- تعرف صيدلية الهلال

زم أحمد شفتيه وقال:
- انا عايز اروح مكتبة الفن ومعرفش حاجة هنا

قال الرجل:
- طب امشي طوالي واكسر يمين في شمال واسأل اي حد هناك.

قال ذلك وساق دراجته وغادر.

قال أحمد:
- شوفتي مش عارف حاجة وبيفتي وخلاص

ضحكت رحمة وقالت:
- مصريين بقى.

وأكملا سيرهم فوجدا عجوزا جالسا على مقعد أمام محل يتصفح جريدة فقال أحمد:
- لو سمحت متعرفش فين مكتبة الفن ؟ واستطرد:

وبعد اذنك يا حاج لو مش عارف قول مش عارف عادي مش لازم تفتي

غضب العجوز وقال:
- طب تصدق بالله اني كنت عارف بس مش قايلك حاجة عشان قلة ادبك دي غور ياض

انفجر أحمد ورحمة من الضحك وتركوه وأكملا سيرهم فوجدا شابا آخر في طريقهم فقال أحمد:
- لو سمحت متعرفش فين مكتبة الفن

قال الشاب:
- مش عارف والله

افتعل أحمد الاندهاش وقال:
- ايه ده مش معقول انت مصري

قال الشاب:
- لا انا ليبي مقيم ليه

فضحك أحمد ورحمة بشدة لم يفهمهم الشاب، فتركهم وغادر ورأت رحمة أمامها لافتة مدون عليها مكتبة الفن، فأشارت عليها وقالت لأحمد وهي تضحك:
- ايه ده احنا قدام المكتبة.

وأكملا ضحكهم
عندما تكون بصحبة من تحب ستضحكك أبسط الأشياء حتى وإن كانت لا تدعى للإبتسام

*****

كان هواري في طريقه إلى بيته، فوجد ريم شقيقة أحمد عائدة من الجامعة وقت ما بعد المغرب وشابان معترضان طريقها يمشون خلفها ويتحرشون بها تحرش لفظي، وهي خائفة وتمشي بخطا سريعة، فاتجه هواري ناحيتها واشتبك مع الشابين، ولكم واحدا منهم ففر الاثنان خائفين، فوقفت ريم وقالت له بصوت مرتعد وهي ممتنة:
- شكرا يا محمد.

فقال هواري:
- العفو علي ايه ماتبقيش تتأخري تاني كده وابقي زعقي هما بيخافوا من الصوت العالي

قالت ريم:
- اصل كان عندي محاضرة متأخر بس مش هحضرها تاني

قالت ذلك ومشت دقيقة ونظرت خلفها وجدت هواري يسير وراءها فنظرت أمامها سريعا حتى وصلت إلى أول المنعطف الذي فيه بيتها، ونظرت خلفها ثانية رأت هواري مغادرا الشارع، فعلمت أنه قد أتى وراءها إلى هنا ليطمئنّ عليها.

*****

رجعت رحمة بيتها بدلت ملابسها وأدت فريضة المغرب، واستدعتها هدير شقيقتها لتراجع لها دروسها، لأن اختباراتها قد قربت، كانت هدير في الصف الثالث الثانوي. انتهت رحمة من المراجعة لها وقامت تشاهد التلفاز مع أمها حتى جاء أبوها وشقيقها وتناولوا طعام العشاء جميعا، وظلوا يتحدثون في مواضيع عدة حتى قامت رحمة لتنام.

*****

وقف هواري في شرفة منزله يدخن سيجارته ويفكر فيما حدث اليوم مع ريم شقيقة أحمد، فلأول مرة يراها بتدقيق كانت حسنة الشكل والهيئة، فدوما عندما يكون عند أحمد وتحضر لهم أكواب الشاي لا ينظر لها، تفكيره بها أصبح مختلفا تضايق من ذلك التفكير لأنها شقيقة صديقه، رمى سيجارته ودلف حجرته تمدد على سريره ونام.

*****

توالت الأيام رتيبة كانت رحمة في المكتبة تضع كراسات على الرف، و ذهب أحمد

ليحضر بضاعة من مكتبة أخرى، فجاء حسين جوار رحمة ليقص لها آخر أخباره إذ لم يبح لها بأي أسرار منذ قدوم أحمد وقال:
- منى لسه مش حاسة بحاجة انا اتخنقت.

نظرت له رحمة ولوت شفتيها وقالت:
- الحال من بعضه

اندهش حسين وقال:
- ازاي!
- انا كمان بحب واحد مش حاسس بحاجة

قال حسين بشك:
- احمد مش كده

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:

- عرفت ازاي هو انا مفضوحة اوي كده ؟

- انتو الاتنين مفضوحين

- ازاي يعني ؟

- يعني انتي باين اوي انك بتحبيه وهو باين انه بيحبك

قالت رحمة متلهفة:
- بجد!! طب باين ازاي انه بيحبني؟

غمز لها حسين وقال:
- السينس بتاعي عالي شوية

قالت رحمة بجدية:
- لا بجد بقى
- شكله بيبقي متضايق وانا بكلمك بحس كده من نظراته

قالت رحمة بإبتسامة جذلة:
- لا عادي هو مش حاسس بحاجة اصلا انا دلوقتي بس عرفت معاناتك مع منى ربنا

يكون في عوننا بقي

قال حسين:
- بس انا تعبت انا على الحال ده من زمان

دلف أحمد في تلك اللحظة، فتوقف حسين ورحمة عن الحديث، وذهب حسين يكمل عمله.

*****

كانت ريم تبتاع أشياء من محل البقالة الذي في منطقتهم وكان هواري جالسا مع عبدالله على القهوة التي أمامه، فثبت هواري نظره على ريم دون أن يشعر و عبدالله يحدثه ولم ينتبه له حتى نظر عبدالله في الاتجاه الذي ينظر نحوه هواري فوجد ريم فقال عبدالله:
- في ايه ياهواري انت بتبص على ريم

انتبه له هواري وتلعثم في القول وقال:
- لا.. لا طبعا

عقد عبدالله حاجبيه وقال:
- هو في حاجة انا معرفهاش

قال هواري بضيق:
- شكلي حبيت ريم بس غصب عني والله لقيتني بفكر فيها ماقصدش اني اخون صاحبي قال عبدالله باستغراب :

- خيانة ايه يا بني هو انت كلمتها ولا بتخرج معاها
قال هواري:
- لا بس ادخل بيتهم ازاي وهو مستأمني وانا اصلا معجب اخته

- هو بمزاجك يعني انك تعجب بيها

- بس اوعي احمد يعرف حاجة

جاء أحمد من الخلف وضع يده على كتف هواري، وقال غامزا:
- قفشتك اعرف ابيبيه بقي

شحب وجه هواري وتغير لونه، فقال عبدالله بهدوء:
- هواري كان عايز يعملك مفاجأة بس انت حرقتها لنفسك. واستطرد: ولا حرقتها ليه مش هنقولك دلوقتي انت هتعرف في وقتها.

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- ايه هتجبلي فردين حمام؟

قال ذلك وجذب مقعد وجلس قبالتهم.

لم تكن علاقة أحمد بأصدقائه تجعله يشك في أمرهم لذلك لم يعبأ بما سمعه، وصدق كلام عبدالله.

*****

تعالي يا رحمة اكتبي معايا شوية حاجات كده

قالها حازم فور خروجه من حجرته، كانت رحمة ممسكة بطبق فيه ترمس تأكل منه وجالسة أمام التلفاز، وجوارها هدير وصفاء، فأشارت رحمة على هدير وقالت:
- انا بحب الفيلم ده هدير اهي خلصت امتحانات ومذاكرة خليها تكتبلك مرة بقى انت اختراعك مابيخلصش يا عم

عدل حازم نظارته الطبية ووضع أحد ذراعيه في جنبه وقال:
- طب لما اختراعي ينجح وابقي مشهور ما تجيش تتلزقي فيا بقي ماشي

رفعت رحمة حاجبيها وقالت:
- بعد كل اللي كتبتهولك

قالت صفاء:
- روحي ياهدير اكتبيله دول مش هيخلصوا النهاردة

قامت هدير تكتب لحازم وبقيت رحمة جوار صفاء تكمل مشاهدة فيلم غرام وانتقام كانت مغرمة بمشاهدة الأفلام الكلاسيكية القديمة، التي يغلب عليها الطابع الرومانسي لأنها تحب ذلك النوع من الدراما.

*****

رجع أحمد بيته طرق الباب وانتظر أن يفتح له، فسمع ضجيج أطفال، فعرف أن شقيقته الكبرى قد أتت، فتح له أحمد ابن سمر شقيقته التي سمي أحمد على اسمه وهو يقول:
- خالووو

فمال أحمد عليه وقال وهو يقبله:
- حبيب خالووو

ودلف ألقى التحية على سمر وسلم عليها سلاما حارا، وحمل رضيعها الآخر مازن قبله وأعطاه لها وجلس يلهو معهم هو وريم ومنار وياسين، كانت سمر تأتي في الإجازات الدراسية تمكث معهم عدة أيام وتعود إلى بيتها، وكانت عندما تأتي تكون أياما استثنائية يتحول البيت من الحزن على حال الأب إلى المرح والسهر.

قالت سمر:
- عامل ايه يا احمد في شغلك

قال أحمد :
- الحمد لله تمام وعلي عامل ايه
- كويس الحمد لله. واستطردت سمر: بما انك موجود بقى كنت عايزة اقولكم على حاجة.

قالت عزيزة:
- قولي يا بنتي
- نادر اخو علي عايز يتقدم لريم

عقدت ريم حاجبيها وقالت:
- ده نادر ده صايع لا طبعا مش موافقة

قال أحمد:
- عندك حق هو فعلا صايع

قال ذلك ونهض ودلف حجرته

قالت سمر باستغراب:

- هو احمد قام ليه

قالت عزيزة:
- اللي فيه مكفيه ما كنش لازم تقولي قدامه يا سمر كنتي تسألي ريم الأول هتوافق ولا لا

*****

دلفت رحمة حجرتها وهي تدندن أغنية المطربة اسمهان التي سمعتها في الفيلم

إمتى هتعرف إمتى اني بحبك إنت "

إمتى هتعرف إمتى إمتى إمتى

"إمتى هتعرف

ونامت وهي تفكر في أحمد.

*****

في حين استلقى أحمد على سريره يفكر في همومه، فشقيقته قد كبرت ويتقدم لزواجها عرسان، وهو لا يملك مالا لتجهيزها، كل أمواله تذهب لعلاج أبيه المريض، ماذا لو كانت ريم وافقت؟ سيكون عاجزا أمامها، حمد الله أنها اعترضت من البداية، وظل يفكر حتى خنقه التفكير ثم قال بصوت خفيض:
- يااارب.

وراح في النوم

*****

غاب عقل ريم عن الحاضرين، وذهب لمكان آخر، جاء في ذهن ريم هواري عندما قالت سمر أن نادر يريد التقدم للزواج منها، هي لم تعرف نادر حق المعرفة ورفضت لأمر آخر، لا تعلم لماذا جاء هواري في ذهنها في ذلك الوقت وتذكرت اليوم الذي أنجدها فيه من المتحرشين، ومشى وراءها حتى جاءت شارعها واطمئن عليها، منذ ذلك اليوم وهو يأتي كل حين في ذهنها وفي مواقف مختلفة،

فاقت من شرودها على صوت سمر وهي تقول:

- ريييم

قالت ريم:
- ايوه
- انتي فين يابنتي بكلمك وانتي مش معايا خالص
- معاكي اهو

*****

في اليوم التالي في المكتبة كانت رحمة تنفض الأتربة علي الرفوف، وهي تغني بصوت خفيض: امتي هتعرف امتي اني بحبك انت ،، سمعها حسين وهو يمر من جوارها فقال مداعبا :
- مش هيعرف طول ما انتي بتغني الاغنية دي. واستطرد وهو يشير حوله: انتي فاكرة التراب ده طالع من الرف ده من الاغنية القديمة اللي بتغنيها.

قالت رحمة:
- بس بس انت ايش فهمك انت في الفن ده انا هضحي بكام ميجا من الباقة وهنزلها mp3.

جاء أحمد وقال لحسين بضيق:
- مش هندخل البضاعة اللي بره

قال حسين:
- هندخلها يلا

خرج أحمد وخرج خلفه حسين وغمز لرحمة غمزة ذات معنى، وهو يسير وراء أحمد

فهمته رحمة وضحكت، وقالت بعد ما غادر:
- يا رب يكون احساسك صح يا اخويا

وأكملت ما تفعل.

*****

في المساء بعد انتهاء العمل خرجت رحمة من المكتبة، وخرج أحمد وراءها مشى جوارها صامتا، فقالت رحمة:

- مالك ؟

لم يجب أحمد بضع ثواني ،وصمتت رحمه حفظا لماء وجهها، فنطق أحمد أخيرا وقال بهدوء:
- عارفة نفسي اموت.

عقدت رحمة حاجبيه من سماع هذه الكلمات ،وقالت بضيق وهي ناظرة أمامها:
- ليه بتقول كده

- فكك مش هتفهميني

- قولي ايه اللي مضايقك وانا هفهم

- عليا التزامات كتيرة اوي وخايف مابقاش قد المسؤلية.

كانا قد نزلا محطة مترو الأنفاق فتركها أحمد وذهب يجلب التذاكر وجاء أعطاها تذكرتها ووقفا على رصيف اتجاه حلوان منتظرين قدوم المترو ،فقالت رحمة :
- انا هركب معاك العربية المشتركة

ونظرت له وقالت:
- مش انا مع راجل برضه

قال أحمد بنصف ابتسامة:
- اكيد

جاء المترو وركبا معا، فقام شاب لتقعد رحمة وقال لها:
- اقعدي يا انسة

قالت رحمة مبتسمة:
- شكرا ربنا يكرمك انا واقفة اهو

قال الشاب:
- لا اقعدي عشان الزحمة

فرمقها احمد بنظرة صارمة وقال بضيق:
- اقعدي بقى

فجلست رحمة وكانت سعيدة وهي في صحبة أحمد وقالت:
- لو اعرف اني لو ركبت معاك هلاقي مكان بسهولة كده كنت ركبت معاك من اول يوم ده انا ساعات بفضل واقفة لحد محطتي لما رجلي تورم

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- ماتاخديش على كده آخر مرة هتركبي معايا فيها.

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- ليه بقى ان شاء الله وبعدين مش بمزاجك انا راكبة في مترو الحكومة.

ضحك أحمد وقال:
- افرضي محدش الشهامة كلته وقام وقعدك هتوقفي ازاي في الزحمة دي

- زي ما انت واقف كده

- لا انا راجل عادي انما انت ما ينفعش

قالت رحمة مداعبة:
- مجتمع ذكوري متعفن

وظلا يتحدثان إلي ان جاءت محطة السيدة زينب، وقال لها:
- سلام

لوحت له رحمة بيديها وقالت وهي مبتسمة:
- سلام

****

ذهب أحمد لأصدقائه على المقهى ذلك المكان الذي يجمعهم دائما ويبوحون فيه لبعضهم ما يضايقهم ويهونون على بعضهم البعض وجد هواري، دقائق وجاء عبدالله وكان الضيق واضحا على وجه أحمد، فقال عبدالله:
- مالك يا ابو كمال
- مخنوق

قال هواري:
- ليه بس يا معلم

قال أحمد:
- حاجات كتير

قال هواري:
- ايوه ايه هي بقى

قال أحمد:
- في عريس عايز يتقدم لريم

قطب جبين هواري وقال:
- وانت ايه رأيك فيه

قال أحمد:
- الحمدلله ريم رفضت قبل ما يتقدم أصلا

فرح هواري وقال:
- الحمد لله

فتدخل عبدالله سريعا وقال:
- اه الحمد لله اكيد كده احسن ليك عشان لسه ما جهزتهاش صح

قال هواري:
- هو ده اللي مضايقك يا عم ما تقلقش والله ربنا اللي بيسهلها

فقال أحمد:
- وحاجة كمان

قال هواري مداعبا:
- ايه غية الحمام وقعت

لكزه أحمد في كتفه وقال:
- قوم يالا من هنا

فقال هواري بجدية:
- لا بجد بقي ايه تاني مضايقك
- هواري انت عمرك حبيت

فازدرد هواري ريقه وقال:
- ازاي يعني

فقال عبدالله موجها حديثه لأحمد:
- ايه السؤال العبيط ده يا بني انت

قال أحمد:
- بسأل عادي عايز اعرف ازاي تعرف انك بتحب واحدة

رفع عبدالله أحد حاجبيه وقال:
- مادام سألت السؤال ده تبقى وقعت يا اسطي

قال أحمد:
- هو ده اللي مضايقني

قال هواري باستغراب:
- متضايق انك حبيت!
- اه

فقال عبدالله:
- طب حبيت مين بقى يا معلم
- رحمة
ضحك هواري وعبدالله وقال هواري:
- يعني احنا قولنالك قبل كده ان شكلها حبيتك ادلقت انت زي الجردل وحبيتها

فقلب أحمد شفتيه وقال:
- ايه الغلاسة بتاعتكم دي يعني

فقال عبدالله وهو يضحك:
- بس بقى يا هواري خلينا نشوف متضايق من ايه

وأكمل بجدية:
- ايه بقى اللي مضايقك طلعت مرتبطة!

قال أحمد :

- في واد اسمه حسين معانا في الشغل ملزق كده معرفش بيحبها ولا ايه كل ما يكون بيكلمها وادخل يروح ساكت واستطرد قائلا:

بس مش حسين اللي مضايقني انا حاسس انها بتحبني

قال عبدالله:
- اومال ايه اللي مضايقك؟

قال أحمد بحزن:
- انا اصلا مش مبينلها خالص اني بحبها حتى ساعات بعاملها برخامة عشان ماتحبنيش بس كل يوم بحبها اكتر ،، والله انا ما عارف اعمل ايه

قال هواري:
- انت عبيط يالا

وقال عبدالله:
- ازاي حبيتها من اول يوم شوفتها فيه وازاي مش مبينلها حبك وبتعاملها برخامة ومش عايزها تحبك معلش فهمنا بالراحة

نظر لهم أحمد وقال:
- ببساطة معنديش شقة ولا وظيفة ولا أي حاجة وريم اختي على وش جواز محتاجة جهاز وبعديها منار غير مصاريف علاج ابويا اللي ما بتخلصش يعني ماينفعش احب واعيش دور مش دوري واعلق معايا بنات الناس انا الحب محرم عليا زيه زي الخمرة ولحم الخنزير ما ينفعش اقرب منهم ولو قربت ابقى بضر نفسي.

*****

بعدما قام أحمد من القهوة بقى هواري وعبدالله، فجلس هواري يشرب شيشة وينفث دخانه بضيق، فقال عبدالله:
- مالك انت كمان

قال هواري بضيق:
- بيقول ريم اتقدملها عريس يعني ممكن في اي وقت تتخطب وتتجوز ومش هعرف اقولها حتى اني معجب بيها ولا بحبها عشان اخت صاحبي

قال عبدالله:
- طب ما تقول لأحمد انك عايز تخطبها وادخل البيت من بابه على طول.

- ما ينفعش دلوقتي خالص ما انت عارف مش جاهز وشغلتي بتكفيني بالعافية.

- خلاص ارضى بالأمر الواقع بقى وبعدين ما هي كمان مش جاهزة مش لسه احمد كان بيقول انه مش مجهزلها حاجة.

طمأنه عبدالله بذلك الكلام واقتنع به هواري.

*****

رجعت رحمة بيتها ألقت التحية على صفاء وهدير ودخلت حجرتها بدلت ملابسها وجلست على السرير، وفتحت الانترنت من الهاتف وبحثت عن أغنية "امتي هتعرف" وانتظرت التحميل، ففتحت مذكرة الهاتف تكتب بها خواطرها كانت تعشق الكتابة برغم أنها ليست بارعة فيها، ولكنها تحبها انتهى التحميل ففتحت موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك ترى أحمد نشطا أم لا ؟ فقليلا ما تلقاه نشطا، وجدته نشط فاتسعت ابتسامتها وكتبت له:
- ازيك

كتب احمد:
- الحمد لله وانت

- الحمد لله

- يدووووم

- يا رب

وكتبت رحمة رسالة أخرى:
- انا كتبتلك حاجة ممكن تغير مودك ممكن اوريهالك
- اكيد ممكن

ازدردت رحمة ريقها، وكتبت له:
- الابتسامة الحزينة هتبقى ضحكة وليها صوت

لما ربنا يبعتلك نصيبك من الفرحة

وبعوضك عن كل يوم عانيت فيه واتمنيت الموت

وعن كل ضحكة كانت مكسورة وعيون سارحة

اصل اللي نجى يونس من بطن الحوت

قادر يخليك مبسوط زي عروسة لابسه الابيض والطرحة

وضغطت إرسال،

قرأ أحمد الرسالة مرتين، وابتسامته تتسع، كل حرف بها لمس قلبه مكتوبة على مقاسه، وبالفعل تغير مزاجه وأصبح سعيدا ليس من تلك الكلمات ولكن لوجود من يهتم لأمره إلى هذا الحد وكتب لها:
- حلوة اوي .. دي انت اللي كتباها ؟!
- عجبتك ؟

- جدا

- اصلي بحب الكتابة جدا

وكتبت رسالة أخرى:
- وانت بقى معندكش هوايات ولا مواهب.
- بحب اطلع فوق السطح اطير الحمام وبيقولوا صوتي حلو كنت بغني في حفلات ايام الجامعة ،، وفي المدرسة كنت بنشد في الاذاعة بس من ساعة ما اتخرجت وانا نفضت للموضوع ده ليه معرفش وبقيت بغني في الحمام.

ضحكت رحمة وكتبت:
- ده اكيد عمرو دياب عملك عمل ورماه في حمام عمومي عشان ماتنافسوش

ضحك أحمد وكتب:
- انا حسيت بكده برضه

ظلا يتحدثون ويمزحون قرابة ساعة ونصف فجاءت منار وقالت:
- يلا يا احمد العشا جهز

فكتب أحمد:
- انا هقوم بقى عشان بينادوا عليا عشان اتعشى

كتبت رحمة:
- بالهنا والشفا

- تسلمي يلا سلام

- سلام

*****

تناولت رحمة طعام العشاء مع أسرتها ودخلت حجرتها وجلست على سريرها، وشغلت الأغنية التي تذكرها بحالها مع أحمد كأنها مكتوبة خصيصا لها كل كلمة بها توصف حالها بدقة وظلت تردد معها.

*****

انا افتكرت اما اقولك على نادر هتفرحي عشان هنبقى سلايف ومع بعض.

قالت ذلك سمر وهي مستلقية على السرير جوار ريم قبل النوم، فقالت ريم وهي ناظرة للسقف:
- كان نفسي طبعا نبقى مع بعض بس نادر ده انت نفسك كنتي بتشتكي منه وبتقولي صايع وبتاع بنات
- ده كان زمان وكان مراهق انما دلوقتي كبر وعقل وعايزك عشان محترمة .. عايز يستقر بقى.

قالت ريم باستغراب:
- الشباب دول بجد دماغهم غريبة يعرفوا بنات بعدد شعر راسهم ويلفوا معاهم ويكلموا دي ويسيبوا دي ويعجبوا بدي ويقضوها ويبوظوا البنات وفي الاخر يدوروا على واحدة محترمة طب ازاااي!

قالت سمر:
- طب وليه ما تقوليش انه نضف وتاب وانت تساعديه على كده او حبك مثلا وعايز يبتدي حياة جديدة

- ماتضحكيش على نفسك ياسمر انت قولتي بنفسك عايزني عشان محترمة وعايز يستقر انما حب لا وانا مش قليلة عشان حد يتجوزني عشان عرف بنات قذرة ميعرفلهمش لا اصل ولا فصل وعايزني انا لمجرد اني محترمة وعارف اصلي وفصلي لا يا سمر انا مش هفضل ده كله محافظة على نفسي وقلبي عشان في الاخر اتجوز واحد كان مقضيها وعايز يستقر انا مش هقبل غير واحد يحبني وييجي يخبط على باب بيتي ويطلبني عشان بيحبني مش عشان عايز واحدة محترمة امه ولا اخته دلوه عليها

قالت سمر بإعجاب:
- كلامك صح بس كان نفسي نبقي مع بعض.

بقطع حديثهم مازن ببكاءه فقامت سمر ترضعه.

*****

نزلت رحمة في محطة الشهداء قبل الموعد بدقائق، انتظرت قدوم أحمد ليذهبا إلى المكتبة سويا، ذلك القرار البسيط اتخذته في ساعات جلست على آخر مقعد في المحطة الذي يمر من أمامه من نزل من أول عربة لآخر عربة، دقائق ونزل أحمد ومر من أمامها ولم يلحظها لأنه لا يتوقع أن تجلس تنتظره، فنادت رحمة عليه وقالت:
- احمد

نظر أحمد اتجاه الصوت وجد رحمة فقال باستغراب:
- قاعدة هنا ليه انتي مستنية حد!

نهضت رحمة وقالت مبتسمة:
- اه كنت مستنية واحد بس جه خلاص

ابتسم أحمد وقال:
- الواحد ده اسمه احمد!

هزت رحمة رأسها وقالت:
- اه اسمه احمد كمال
- ده شكله انا

ضحكت رحمة ومشت بجواره فقال أحمد:

- كنتي مستنياني ليه بقى

- نزلت بدري شوية قولت استناك نمشي سوا

- على فكرة الكلمتين اللي بعتيهم امبارح دول حلوين اوي بجد

- ربنا يكرمك

- انت فعلا كتبتيهم عشاني ولا كنتي كتباهم قبل كده

- والله كتبتهم عشانك كنت بحمل اغنية كتبتهم على ما تتحمل

- اغنية ايه

صمتت رحمة لحظات وابتسمت محرجة

فقال أحمد:
- اغنية الصمت دي ولا ايه

قالت رحمة:
- لا اغنية عادية

فازداد فضول أحمد فضحك وقال:
- شكلك بتسمعي مهرجانات شعبي ومكسوفة تقولي

فقالت رحمة:
- لالالا شعبي ايه اصلها اغنية قديمة
- ايوه طب اغنية ايه بقى

قالت رحمة سريعا:
- اغنية امتي هتعرف بتاع اسمهان

ضحك أحمد وقال مداعبا:
- ما كنتيش عايزه تقولي عليها ليه بقى .. هو انا كنت هروح اعرفه مثلا

في تلك اللحظة كانا قد وصلا إلى المكتبة ودخل الاثنان وألقيا التحية على مجدي وعلقا في رقبتهم البطاقات التي تحمل اسماءهم، وجاء حسين وانشغل كل منهم

في عمله

*****

نزلت ريم مع منار تبتاعان خضروات وتتسوقان.

بعدما انتهيا من التسوق وابتاعا ما يحتاجونه قالت ريم لمنار:
- روحي بقى جيبي كيلو رز ومرقة دجاج من السوبر ماركت وانا هستنى هنا عشان الشنط تقيلة
- ماشي هاتي

أعطتها ريم النقود وذهبت منار تبتاع الأرز ووقفت ريم في انتظارها مر هواري بالصدفة من جوارها فوقف وقال:
- واقفة هنا ليه يا ريم في حاجة!

قالت ريم:
- لا مفيش ده انا مستنية منار بتجيب حاجة

وقف هواري متردد يتحسس مؤخرة رأسه ثم قال:
- اخبارك ايه

- الحمدلله

- احمد كان بيقول ان كان متقدملك عريس

كانت ريم قلقة لتأتي منار وتجدهم واقفين وتفهم الأمر خطأ فقالت باختصار:
- اه ورفضنا خلاص
- انا عارف ان وقفتي دي غلط وانك متضايقة من وقفتي دي بس هقولك حاجة وامشي على طول

تردد لحظات ثم قال:
- ريم انا بحبك واتمنى تستني اما اجي اتقدملك لو مش موافقة قوليلي واوعدك اني مش هكررها تاني

تفاجأت ريم لم تكن تتوقع أن يقول لها ذلك صمتت واحمرت وجنتيها خجلا.

فقال هواري:
- قولي طيب موافقة ولا مش موافقة وانا امشي على طول

لمحت ريم منار قادمة وتنظر إليهم فقالت بسرعة:
- موافقة بس امشي بقى

فمشي هواري وجاءت منار وحملت الاثنتان أكياس الخضروات وقالت منار أثناء سيرهم:
- هو محمد هواري كان واقف معاكي بيعمل ايه

ترددت ريم وقالت:
- كان اا

وضغطت على شفتيها وقالت:
- كان بيسألني في حاجة ولا ايه وايه اللي موقفني هنا وكده

قالت منار:
- اومال مالك متلغبطة كده

- قصدك ايه يا منار

- ما قصدش حاجه بس احمد لو عرف كده انتي عارفة ايه اللي ممكن يحصل
- والله كنت واقفة وهو جه سألني كده اعمل ايه اقوله امشي وبعدين انتي عايزه تقولي لأحمد يعني

- لا طبعا انا قصدي ان لو حد شافك وقاله يعني ما كنش ينفع توقفي معاه كده

قالت ريم بعصبية:
- يعني اعمل ايه يا منار هو انا اللي قولتله تعالى اقف معايا

*****

كانت رحمه جالسة على مقعد ليس في يديها عمل فجاء حسين جوارها وقال مسرورا:
- موضوعي انا ومنى اتطور خالص

قالت رحمة:
- ايوه ياعم.. قولي وصلتوا لحد فين بسرعة

- امبارح قالتلي ماجتش بقالك اسبوع ليه

- طب ده كويس حست بغيابك اهو عشان تبقي تسمع كلامي

كان أحمد واقفا على مقعد يرص بضاعة على رف أمامه وينظر لهم بطرف عينيه

فقال حسين بصوت منخفض:
- بصي ابو حميد الخلبوص عمال يبص بجنب عينه ازاي وهيطق قال ذلك وضحك

فقالت رحمة:
- والله كلامك ده شكلي هصدقه وهيوديني في داهية
- انا شاب زيه وفاهم .. والله ده انا حاسس انه بيكرهني بسببك ياشيخة

*****

وقفت ريم في المطبخ مع سمر يطهون الطعام كانت ريم سعيدة وتفكر في هواري وما قاله لها ولكن تسرب إليها بعض القلق أفسد عليها فرحتها خوفا من أن تقول منار لأحمد كما لمحت لها أو أن يكون رآها أحد ويقول لأخيها، فرأت سمر تمسك برطمان الملح ففاقت من شرودها وقالت سريعا بصوت عال دون أن تدري:
- لالالا ماتحطيش ملح استني

فزعت سمر من طريقتها وقالت:
- في ايه!

هدأت ريم وقالت:
- استني اما اشيل شويه لأبوكي مانتي عارفة بياكل من غير ملح

قالت سمر وهي مازالت مندهشة :
- حاضر اهو

فقالت ريم لتكسر الصمت:
- ايوه يا عم احمد متوصي في فلوس الاكل اليومين دول عشانك ابقي تعالي كل يوم احسن معدتنا نشفت من اكل الفول

قالت سمر:
- ربنا يعينه على المصاريف ويرزقه ببنت الحلال يا رب
*****
- يلا حماده عشان تتغدى

قالتها والدة هواري له، وهو جالس أمام التلفاز وناظر له، ولكن لا يدري ما به فهو أيضا في عالم آخر، يفكر في ريم متسربا له هو الآخر بعض القلق عليها وعلى علاقته مع أحمد.

فكررت والدته ما قالته بصوت عال:
- يلا يا حماده الغدا جهز

فانتبه هواري وقال:
- جاي بس بلاش حماده دي الله يخليكي في شحط قدي كده ماشي في ال ٢٥ سنة يتقاله يا حماده

قالت والدته:
- حاضر ياحماده وضحكت

فضحك هواري وقال:
- براحتك يا نهله

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد وبعده رحمة، مشى أحمد فلحقت به رحمة وقالت:
- ايه الندالة دي يعني استناك الصبح وتسيبني انت اخر النهار عايز تهرب من التذكرة ولا ايه

فقال أحمد:
- انا قولت لا تكوني عايزه تمشي مع حسين ولا حاجة
- حسين طريقه غير طريقنا ما بيركبش مترو اصلا

صمت أحمد فقالت رحمة:
- هو انت مابتحبش حسين ؟!

- اشمعنى

- سؤال عادي

- عادي لا بحبه ولا بكرهه بس ساعات بتخنق منه

- ليه بقي

- معرفش عادي كده

- على فكرة والله هو طيب جدا

- هو انتوا مرتبطين!

ضحكت رحمة بشدة عندما قال ذلك، فقال أحمد:
- بتضحكي علي ايه ؟!

قالت رحمة وهي مازالت تضحك:
- حسين عنده ٢٢ سنة وانا عندي ٢٣ يعني اكبر منه غير كده كمان هو بيحكيلي علي البنت اللي بيحبها دايما حسين ده زي اخويا

قال أحمد بارتياح:
- اااه .. عشان كده بيبقي بيتكلم واول ما اجي يسكت
- بالظبط كده

نزل الاثنان محطة المترو، ذهب أحمد كالعادة يجلب التذاكر وانتظرته رحمة حتى جاء وأعطاها تذكرتها

وقالت رحمة:
- هركب معاك بقى زي المرة اللي فاتت عشان اقعد اصل في السيدات بتعب من الواقفة

قال أحمد:
- طيب اما نشوف اخرتها

جاء المترو وصعد الاثنان معا رغم الزحام

*****

طالما خايف احمد يعرف كده يبقي عارف ان اللي عملته غلط ومكنش ينفع تعمله

قالها عبدالله لهواري أثناء جلوسهم على المقهى فقال هواري:
- والله ماكنت مرتب كده ولا اي حاجة انا لقيتها صدفة فقولتلها. واستطرد: بس بصراحة فرحت اوي لما قالت موافقة ومكنتش مصدق

- ربنا يسعدك يا صاحبي
- يا رب واستطرد قائلا: ان شاء الله كلها سنة واتقدملها وسنة كمان اكون خلصت الشقة واتوظفت ولا حاجة ونتجوز

- ان شاء الله

*****

جاء أحمد من العمل وقالت عزيزة موجهة حديثها لريم ومنار:
- قوموا جيبوا الغدا أخوكم جه اهو

فقامت ريم ومنار وسمر حضروا الطعام ووضعوه على المائدة

وأطلت ريم برأسها من النافذة وقالت:
- ياسين يا ياسين

كان ياسين يلعب مع أصدقائه كرة في الشارع فتوقف ونظر لها وقال:
- عايزه ايه
- يلا عشان الاكل جهز

قال ياسين:
- جاي اهو

وترك زملاءه وصعد

ودلف أحمد حجرة أبيه وساعده على النهوض وأسنده عليه وخرج الاثنان والتفت جميع الأسرة حول المائدة، وشرعوا في تناول الطعام، جلس أحمد الصغير- أو ميدو كما يقولون له- جوار خاله أحمد فقال أحمد له:

- جبت الشهادة يا ميدو

قال ميدو بحماس:
- اه ناجح ومنقول للصف الثاني الابتدائي

ضحكوا جميعا على طريقته

فمسد أحمد على شعر ميدو وقال:
- يا لعييب حتى الشهادة حفظتها. واستطرد موجها كلامه لسمر:
- اهتمي بالواد ده وشدي عليه في المذاكرة من صغره كده دماغه نضيفة جدا ان شاء الله هيبقي حاجة في المستقبل.

قالت سمر:
- يارب اشوفه زيك

ابتسم أحمد ابتسامة مريرة وقال:
- زيي ايه يا سمر هو انا دكتور ولا مهندس

قالت عزيزة:
- احسن من الدكتور والمهندس

قال أحمد:
- للأسف يا امي احنا في مجتمع مابيعترفش إلا بالطب والهندسة غير كده تحصيل حاصل. واستطرد موجها كلامه لميدو مداعبا
- مالكش دعوة بيا واوعي تفكر في حقوق خالص دي كلية الفشلة في نظر المجتمع ركز على طب او هندسة عشان تواجه ام المجتمع ده اشطة

قال ميدو:
- حاضر ياخالو . واستطرد قائلا: عارف انا بروح كمان الكتاب وفي سورة الواقعة

قال أحمد:
- كمان.. لا ده انت كده بقي عايز هدية حلوة هبقي اجبهالك بكرة وانا جاي من الشغل

فقالت سمر:

- بطل رغي بقي يا ميدو وسيب خالك ياكل

قال ميدو:
- حاضر ياماما

*****

صعد أحمد إلى سطح بيتهم ودلف عشة الحمام فتح الشبكة ووضع إصبعيه في فمه، وظل يصفر حتى طار الحمام، خرج ونظر لأعلى السماء وهو يلوح للحمام بالعلم ويراه، وهو طائر كان يغبطه على مكانته وتمنى لو أصبح مكانه أن يكون في عالم الطير ولو ليوم واحد، لا يحمل هم مصروف البيت، ولا هم مرض أبيه، ولا هم مصاريف إخوته ولا هم نفسه .. هم نفسه لأنه أحب كان ذلك أكبر همومه لأن الحب بالنسبة إليه له طريق واحد وهو العذاب، أما الطير فإن عظم همه فسيكون قد هدم عشه وسوف يبحث عن مكان آخر وفي نهاية المطاف حتما سيجده.

*****

جلست رحمة تتناول طعام العشاء مع أسرتها فقالت صفاء:
- اخبار العقار ايه يازومه

قال حازم:
- هانت ادعولي بس ربنا يكرمني

قال شاهين:
- ربنا يكرمك وييسر أمورك

وقالت صفاء:
- ربنا ينولك اللي في بالك يارب

وقالت رحمة مداعبة:
- انا صوابعي اتهرت من الكتابة في الاختراع ده عارف لو ما ذكرتش اسمي في حوار صحفي أو علي التلفزيون مش هيحصل كويس ماشي يابرنس

رد حازم المداعبة وقال وهو يعدل نظارته:
- اسمي الدكتور حازم

ضحكت رحمة وقالت:
- الله الله اومال لما تتشهر هتعمل فينا ايه

ضحك الأب والأم على أولادهم وتدخلت هدير قائلة:
- طب يا دكتور حازم لو سمحت انا بس اللي اسمي يتذكر في حوراتك ولقائاتك لإني اخر واحدة كتبت والعبرة بالخواتيم

ضحك حازم وقال:
- هو انا لسه خلصت انتوا لسه هتكتبوا كتير

قالت رحمة بجدية:
- يا رب تخلص الاختراع وينجح

قال حازم:
- يارب انا نفسي افيد بلدي والبشرية بس والله ،، مش عايز شهرة ولا غيره

قال شاهين:
- ان شاء الله الاختراع ينجح وتحقق نجاح كبير لبلدك ولنفسك ولينا كلنا

ردوا جميعا:
- ان شاء الله

****

توالت الأيام رتيبه ليس بها أي جديد يذكر ،كان أحمد في المكتبة يحمل بضاعة إلى الداخل وحده، فقد تغيب حسين اليوم عن العمل، فنظرت له رحمة وجدت المشقة والإرهاق باديين عليه فاتجهت نحوه وحملت دستة كشاكيل من على الأرض معه فوضع أحمد ما في يده على الأرض وأخذ من يدها الكشاكيل بعنف وقال:
- حد قالك اني محتاج مساعدة

شعوره بالعجز أمامها ضايقه كثيرا .. فطوال الوقت يشعر بالعجز أمام أمه وهو يعطيها عشرين جنيها أو أقل لمصروف بيت مكون من ستة أفراد وقلما يعطيها أكثر من ذلك بقليل، ويشعر بالعجز أمام أبيه المريض وهو يراه يتألم ولا يقدر أن يفعل له شيئا، وليس معه المال الكافي لعلاجه في أفخم المستشفيات أو تحمل الألم عنه ولو قليلا ويشعر بالعجز أمام إخوته حينما لا يلبي جميع احتياجاتهم، ويشعر بالعجز

أيضا كلما يرى رحمة ولا يقدر أن يعبر لها عما به من مشاعر نحوها أرهقه شعور العجز الدائم.

لذلك انفعل على رحمة، التي صدمت من ردة فعله وبكت رغما عنها وتركته وجلست على مقعد في آخر المكتبة تكفكف دمعها، تضايق أحمد ونقل جميع البضاعة إلى الداخل وذهب إليها رأته مقدما عليها فتحاشت النظر إليه، ونظرت في الجانب الآخر، قال أحمد بنبرة حزينة:
- رحمة ما تزعليش مني والله ما كنت اقصد

قالت رحمة باكية وهي مازالت لا تنظر له:
- وانا ماكنتش اقصد اضايقك انا كان قصدي اساعدك
- انا اسف بس ماتعيطيش بقى انت كده بتضايقيني حرام عليك والله

نظرت له رحمة وقالت والدمع في عينيها:
- انت ليه بتعاملني كده ساعات تبقى كويس وساعات لا ليه كده
- رحمة انت مش هتفهمي بس اعذريني

انفجرت رحمة بداخلها وقالت بأسى وانفعال:
- انت اللي مش هتفهم اي حاجة انت فاكر ان سهل عليا اني ابقى انا اللي بتلزق فيك وبحاول ارضيك بأي طريقة واسحب الكلام منك بالعافية بقالي ١٠ شهور على الحال ده للدرجة دي يعني مش فاهم ولا فاهم وبتستعبط ولا ظروفك ايه بالظبط

ضغط أحمد على شفتيه وصمت قليلا ثم قال:
- وانتي فاكرة ان سهل عليا الكلام اللي انت قولتيه ده رحمة انت متعرفيش اي حاجة عن ظروفي انت كل اللي تعرفيه احمد الكئيب اللي قليل اوي لما يبتسم حتى معرفش اصلا انت حبتيني على ايه

قالت رحمة:
- لا في اسباب كتير تخليني احبك يا احمد

وأكملت دامعة: انت ابن بلد وجدع ومكافح وده بقى قليل وبعدين الحب مش بإيدينا لو كان بإيدي احبك او اكرهك كنت كرهتك من معاملتك ليا من البداية

قال أحمد:

- وانا كمان لو كان الحب بإيدي ماكنتش حبيتك من اول يوم شوفتك فيه بالتحديد لما طلعنا بره المحطة عشان نفك ال٢٠٠ جنيه

تفاجأت رحمة من كلامه أحبها قبل أن تحبه! فقالت باندهاش:
- ثانية واحدة بس كده عيد اللي انت قولته تاني عشان مش مستوعبة

ابتسم أحمد ابتسامة واهنة وقال:
- انا حبيتك من اول يوم شوفتك فيه وعلي فكرة تاني مرة لما موبايلك وقع قدام الظابط وانا خدته انا ساعتها كنت بدعي ربنا انك تنسيه عشان اشوفك تاني وباريتك مانستيه وماكناش عرفنا بعض

قالت رحمة:
- ليه كده حتى الحاجة الحلوة لازم تختمها بحاجة تضيع حلاوتها ليه ما نبقاش سند لبعض نرمي عليه همومنا فهمني ظروفك وانا مش قليلة الاصل انا هبقى معاك دايما على المرة قبل الحلوة .. والله ما هشتكي بالعكس هحاول دايما اشيل عنك ما تجيش على نفسك اوي كده ،، طاوع قلبك يا احمد لو عقلك خد قرار ضده القلب اللي بيتوجع مش هو

- رحمة انا قدامي كتير اوي وانت مش هتقدري تستني لمدة في علم الغيب

- استناك العمر كله انا كفاية عليا اني عرفت انك بتحبني مش عايزه اي حاجة تاني

ابتسم أحمد وقال:
- مش لاقي اي حاجة اقولها غير اني بحبك

ضحكت رحمة واختلط ضحكها ببكائها وظلت تضحك وتبكي في ذات الوقت

*****

كانت ريم عائدة من الجامعة وكان هواري جالسا على المقهى خصيصا ليراها فقد حفظ مواعيد عودتها وكان ذلك لقائهم المعتاد الذي يرون فيه بعض يختلسون النظرات إلى بعضهم في صمت كل يوم ورغم ذلك كان كل منهم يحب الآخر إلى أقصى درجة، كان حبهم يخلو من المهاتفات والمقابلات ولكن القلوب المحبة والعيون المشتاقة لها لغة لا يفهمها إلا المحبون، رأت ريم هواري يدخن شيشة كانت أول مرة تراه يدخنها فتضايقت وألقت نظرة على الشيشة ورمقته بنظرة مستاءة،

وتحاشت النظر إليه وأكملت سيرها، عرف هواري أن ذلك الأمر ضايقها فتضايق هو الآخر، ليس له أي حديث معها ليصالحها أو يشرح لها وجهة نظره فنفث دخانه بضيق وألقى اللاي من يده وجلس مستاء، فرن هاتفه وكان المهاتف رئيسه في العمل يبلغه أن يأتي مع بقية الصبية بسبب عمل عاجل قد أتى له، كان هواري يعمل في النقاشة إلى أن تأتي له وظيفة فقد كان خريج معهد فني تجاري أنهى المكالمة وذهب إلى المكان المراد وجد زملاءه في العمل قد حضروا ألقى عليهم التحية وحمل أدواته وصعد السلم الحديدي ووقف على المسطح الحديد ليدهن واجهة منزل، كان الطابق الثاني وقف يدهن وهو شارد يفكر في موقف ريم منه حتى فلتت قدمه وسقط أرضا وفتحت رأسه وسالت الدماء منها، تجمع العمال حوله سريعا وفقد الوعي فحملوه وأدخلوه في سيارة مرت أمامهم، كل ذلك حدث سريعا ونقلوه إلى أقرب مستشفى كانت مستشفى استشماري حملوه زملائه وركضوا به إلى الداخل فأوقفهم أفراد الأمن قال أحد زملائه:

- وسع الراجل بيموت

قال موظف الاستقبال من مكانه:

- لازم تدفعوا الفلوس الاول يافندم

قال زميل ثان له بانفعال:

- بيقولك الراجل بيموت دخلوه الاول وبعدين نبقى نتكلم في الفلوس

قال الموظف ببرود:

- اسف لازم الدفع الاول

فقال اخر:

- طب كام الفلوس

قال الموظف:

- ٢٠٠٠جنيه يافندم

قال الزميل:

- طب دخلوه بسرعة لحد مانشوف حل

قال الموظف:

- الفلوس الاول يافندم قولت

ثم قال بعدم إنسانية لأفراد الأمن:
- طلعوهم بره

انفعل زميل وهتف بصوت عال:
- حسبي الله ونعم الوكيل فيكوا ياكفرة الواد بيموت في حد هيمشي بمبلغ ٢٠٠٠ في جيبه على اساس انه عارف ان هيحصله كده. واستطرد بغل:
- ياكفرة

ظل الزملاء يترجوا ويستعطفوا موظف الاستقبال وأفراد الأمن أن يدخلوه على حجرة الاستقبال ولكن دون جدوى.

فقال أحد الزملاء:
- مفيش وقت ياجماعة هواري هيروح مننا دول عالم معندهاش رحمة ولا إنسانية همهم الفلوس بس يلا ننقله مستشفى تانية بسرعة

فذهبوا به جميعا إلى مستشفى حكومي

*****

دخل أحمد منزله فتحت له منار وكانت ريم جالسة ممسكة بهاتفها، جلس أحمد يتنفس الصعداء، دقيقة ورن هاتفه كان رقم هواري المتصل فتح أحمد المكالمة وقال:
- ايوه ياباشا

فقال المتصل:
- انت صاحب هواري اصلك اخر رقم هو متصل عليه

نهض أحمد من موضعه وارتفعت نسبة الأدرينالين في عروقه وازدرد ريقه وقال:
- هواري ماله هو جراله حاجة

سمعت ريم الاسم فسقط الهاتف من يدها والتفتت إلى أحمد باهتمام

قال المتصل:
- وقع من الدور التاني في الشغل وهنا في المستشفي تعالى بسرعة احسن حالته

خطره

قال أحمد:
- مستشفى ايه بسرعة
- مستشفى سيد جلال
- طب انا جاي حالا

سمعت ذلك ريم فسقطت دموعها لا إراديا، اتجه أحمد مسرعا نحو الباب فركضت خلفه ريم وقالت دامعة:
- ايه اللي حصل ياأحمد

قال أحمد في عجالة:
- هواري وقع من على السقالة في الشغل من الدور التاني وفي المستشفي حالته خطيره ربنا يستر قال ذلك وغادر مسرعا

جلست ريم على الأريكة وظلت تدعو في خفوت ودموعها تتساقط وتمسحها سريعا خوفا من أن يسألها أحد عن سبب بكائها ولكن منار كانت ترصدها منذ سقط هاتفها وترى ردود أفعالها الغريبة، وتيقنت من أنها على علاقة بهواري.

خرجت عزيزة من حجرتها وقالت:
- احمد لسه ماجاش

قالت منار:
- جه وحد اتصل عليه قاله ان محمد هواري في المستشفى وقع من الدور التاني وجري على هناك.

قالت عزيزة:
- لا حول ولا قوة إلا بالله سلم يارب سلم

فجلست منار جوار شقيقتها وقالت:
- كمان شوية يا ماما نتصل على أحمد ونشوف حصل ايه ونطمن قالت ذلك لتطمئن شقيقتها

قالت ريم وهي تعطي هاتفها لعزيزة:

- اه ياماما خدي اتصلي على احمد واسأليه

قالت منار:
- اصبري يا ريم اكيد لسه احمد ماوصلش

*****

وصل أحمد وعبدالله المستشفى وذهبا إلى قسم الطوارئ وسألا عن اسمه وركض الاثنان إلى مكان الحجرة وجدا زملاءه في العمل، كانوا أربعة أفراد وعلى وجوههم علامات الأسى، قال أحمد:
- فين هواري ؟!

قال أحد الزملاء:
- في العمليات نزف كتير ربنا يستر.

وقف أحمد وعبدالله وعليهم علامات القلق البالغ والخوف قال عبدالله:
- ان شاء الله حاجه بسيطة

قال أحمد:
- يااارب

وقفوا جميعا منتظرين خروج الطبيب، رن هاتف أحمد كانت ريم فألغى المكالمة، خرجت إحدى الممرضات وقالت:
-O+ محتاجين دم بسرعة مين فصيلة دمه

قال أحد الزملاء:
O+ - انا

فقال عبدالله:
- شوفوا فصيلتنا ايه احنا مش عارفين

ذهب الزميل للتبرع وذهب الباقي لمعرفة فصيلة دمه عدا اثنين كانا يعرفان فصيلتهم وليست مطابقة

وجد أحمد فصيلته O+ فتبرع هو الاخر.

قالت الممرضة:
- لو تعرفوا قرايبه اتصلوا بيهم بسرعه عشان اكيد هيحتاج تاني الحالة ماتطمنش

قال عبدالله:
- اتصل برامي اخوه

قال أحمد:
- انا مارضتش ابلغهم عشان ماقلقهمش بس اذا كان كده اتصل
ورن هاتف أحمد ففتح المكالمة بضيق وقال:
- الو

قالت عزيزة:
- ايوه ياأحمد هواري عامل ايه طمنا يابني

فقال أحمد دامعا:
- ادعيله ربنا ينجيه ياماما

فقالت عزيزة:
- ان شاء الله خير وهيبقي كويس
- ان شاء الله .. سلام
- سلام

قالت ريم بلهفة:
- قالك انه كويس
قالت عزيزة:
- قالي ادعيله وصوته حزين اوي ربنا يستر
قوست ريم شفتها وعقدت حاجبيها وقالت:
- ياارب

*****

جاءت والدة هواري وأبوه وأخوه مفزوعين وطمأنهم أحمد وعبدالله.

مرت ساعة من الوقت وخرج الطبيب ركضوا إليه جميعا، وقالت والدة هواري:
- خير يادكتور طمنا الله يخليك

قال الطبيب:
- اطمنوا وخلوا عندكم يقين بربنا هو عنده كسر في الجمجمة وكسر في دراعه ورجله الشمال هو بس نزف كتير عشان جه متأخر ان شاء الله خير.

قال عبدالله:
- طب عايزين ندخل نشوفه

قال الطبيب:
- الزيارة ممنوعة دلوقتي ممكن يومين وتدخلوا تشوفوه بس ادعوله قال ذلك وتركهم وغادر

*****

عادت رحمة إلى بيتها وهي أسعد أهل الأرض، حيرة وهموم أياما وليالي طويلة، قد ذابت اليوم وظلت تتذكر أول أيام رأت فيها أحمد، عندما نزل الاثنان لفك مئتي الجنيه، وعندما وقفا أمام الضابط وعندما أتى لها أحمد بهاتفها تلك المواقف تذكرتها كثيرا، ولكن اليوم تتذكرها بطريقة مختلفة، فقد كان كل موقف من تلك يحبها أحمد وهي لا تعرف، وعجلت موعد نومها أدت فريضة العشاء ونامت سعيدة لتقوم ترى أحمد.

*****

دخلت منار حجرتها واستلقت جوار ريم فلفت ريم رأسها للناحية الأخرى لكي لا تراها منار، تساقطت دموعها في صمت ولكن في سكون الليل وهدوئه ان وقع مخيط سيسصدر له صوتا لذلك صوت شهيقها اتضح، فقالت منار:
- ريم

قالت ريم:
- ايوه

- مالك!

- مالي ازاي

- سامعة كإنك بتعيطي

- هعيط ليه

- معرفش

عاد الصمت مرة ثانية فقالت منار:
- محمد هواري صعبان عليا اوي

سيطرت ريم على بكائها وقالت:
- ان شاء الله هيبقي كويس

- هو يهمك!
- يهمني ازاي يعني صعبان عليا زي ما صعبان عليكِ وبعدين هو مش صاحب اخويا وعارفينه

- صاحب اخوكِ بس

- عايزه اي ه يامنار

- مش عايزه حاجة تصبحي على خير

قالت ذلك وجذبت الغطاء فوق رأسها ونامت

*****

نظرت رحمة في ساعتها وجدتها الثامنة والربع صباحا زمت شفتيها في ضيق فقال حسين:
- ده استاذ مجدي هينفخه لما ييجي

قالت رحمة:
- اهدي بس انت

مر من الوقت نصف ساعة وفقدت الأمل في مجيئه اليوم جاء مجدي وقال:
- احمد ماجاش

قالت رحمة:
- عنده ظروف جامدة النهاردة معلش

قال مجدي بضيق:
- وماتصلش يعتذر ليه وبعدين هو حسين مايجيش امبارح وهو مايجيش النهاردة

بيسلموا ورديات لبعض ولا ايه

قالت رحمة:
- حسين هيشيل شغله النهاردة زي ما احمد شاله امبارح

غادر مجدي دون أن يرد فقال حسين:
- ايوه ياختي دافعيله

- اومال ادافعلك انت مثلا

- مثلا يعني

قالت رحمة بسرور:

- اسكت مش امبارح اعترفلي بحبه ده انا لو اعرف كده كنت خليتك تغيب من زمان

- يابنت الايه

- طلع كل كلامك صح كان بيحبني من زمان

قال حسين بتفاخر:
- عيب يابنتي انا دايما آرائي صائبة وثاقبة. واستطرد: عقبالي يارب

قالت رحمة:
- صحيح مفيش جديد مع منى
- كل كلامها ونظراتها بتقول انها وقعت في غرامي وبتدوب في دباديبي خلاص

ضحكت رحمة وقالت:
- ربنا يهنيك ياسحس

في تلك اللحظة جاء مجدي وقال:
- يلا ياحسين تعالي دخل البضاعة

نهض حسين وقال مداعبا:
- هو ده الهنا! ماتدعيليش تاني

*****

رجع أحمد بيته صباحا فقد سهر على المقهى التي أمام المشفى هو وعبدالله بعدما أقنعهم الأطباء والممرضات أن يعودوا إلى بيتهم وأن وجودهم لا فائدة منه، فلم يقتنعا جيدا وجلس الاثنان على المقهى ليطمئنا على حالته صباحا، فدخلا المشفى في الصباح واطمئنا من الطبيب على حالته، وجلسا في المشفى بعض الوقت وعادا إلى بيوتهم، فتحت له عزيزة جلس أحمد وجلست عزيزة قبالته وقالت:
- أخبار محمد ايه

قال أحمد في أسى :
- الحمد لله الدكاترة بيقولوا ان شاء الله هيبقى كويس لو حالته استقرت لحد بكرة يبقى مرحلة الخطر عدت، المشكلة انهم ودوه الاول مستشفي خاصة ومرضوش يقبلوه عشان الفلوس وده عطله وخلاه نزف كتير لو كانوا دخلوه كان زمانه بقي كويس

- ان شاء الله هيبقي كويس

- بإذن الله. واستطرد : هقوم اريح شوية بقى

قال ذلك ونهض من مكانه وذهب إلى حجرته لينام.

*****

قامت ريم من نومتها قالت لعزيزة:
- احمد جه يا ماما ؟

- اه جه هلكان ياحبة عيني دخل نام

- قال محمد عامل ايه !

- بيقول حالته مش مستقرة اصله نزف كتير عشان فيه مستشفى مرضتش تقبله اتعطل ونزف كتير، بس ربنا كبير ان شاء الله هيبقى كويس ده لسه شاب صغير ياعيني.

قالت ريم بحزن:
- يا رب يبقى كويس

*****

رحمة تعالي سمعيلي عشان لما بسمع لنفسي بخم.

قالتها هدير لرحمة، كانت هدير في عامها الأول في كلية آداب قسم تاريخ

قالت رحمة:
- معلش يا هدير مش فايقة خالص و مصدعة
قالت هدير وهي عائدة إلى حجرتها مداعبة:

- يبقى هسمع لنفسي وهخم وهسقط وهعركم كلكم براحتك.
ضحكت رحمة وأمسكت هاتفها فتحت موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" للمرة الخامسة ترى أحمد نشطا أم لا فوجدته غير نشط أغلقت بعد ان تركت له رسالة:

- احمد ماجتش النهاردة ليه ؟

*****

ذهب عبدالله وأحمد إلى المستشفى يطمئنا على حال صديقهم دخلا إلى مكان حجرته وسأل أحمد الطبيب وقال:

- حالته بقيت عاملة ايه يا دكتور؟

- الحمد لله في تحسن كبير وان شاء الله ممكن بكرة يخرج من العناية المركزة ويدخل اوضة عادية

قال أحمد:
- ان شاء الله شكرا يا دكتور

وترك الحجرة هو وعبدالله فوجدا رامي شقيق هواري قد أتى للتو طمأنه عبدالله بالكلام الذي قاله الطبيب فقال رامي ممتنا:
- ان شاء الله هيبقي كويس روحوا انتوا بقى شغلكم وابقوا تعالو بكره متعطلوش نفسكم اكتر من كده

قال أحمد:
- عطلة ايه بس ان شاء الله نيجي بكرة نلاقيه في اوضة عادية

وألقى عليه التحية وودعاه هو وعبدالله وغادر الاثنان

*****

جلس أحمد وعبدالله على المقهى المفضل لثلاثتهم، ولكن دون هواري كانت تقاسيم وجههم تبدي حزنهم جاء سمير وقال:
- هواري عامل ايه

قال له عبدالله:
- الحمد لله ادعيله ربنا يشفيه

قال سمير بصدق:
- يااارب ان شاء الله يقوم بالسلامة ويكمل قعدتكم واستطرد تشربوا ايه بقى

قال أحمد:
- انا مش هشرب حاجة انا قايم
قال ذلك ونهض من مكانه، نهض عبدالله هو الآخر وقال:
- وانا كمان مروح

وغادر الاثنان لم يجلسا كثيرا لأن هواري لم يكن معهم وافتقاداه كثيرا .. كان من الممكن من قبل أن يجلس اثنان دون الآخر ولكن الآن الوضع مختلف.

*****
دلف عبدالله بيته وجد بسمة شقيقته التوأم تشاهد التلفاز جلس جوارها وقال :
- عمر وابوكِ فين!
نظرت له بسمة وقالت:
- ابوك نايم وعمر تحت واستطردت اجبلك تتغدي
- لا
قال ذلك وقام اتجه إلى حجرته
بعدها بدقائق اغلقت بسمة التلفاز وقامت بحثت عن كرة عمر حتى وجدتها أخذتها وذهبت إلى حجرة عبدالله فتحت الباب وجدته مستلقيا على سريره، فرمت الكرة عليه قام عبدالله غاضبا وقال:
- بسمة بطلي رخامة
فقالت بسمة:
- معلش العيال بيلعبوا كورة تحت وجت هنا

اعتدل عبدالله وجلس على السرير وقال ساخرا:
- بيلعبوا تحت ونطت في الدور التالت ومشيت في الشقة كلها، وفتحت باب اوضتي انا بالذات وخبطتني دي عجائب الأقدار صح!
- ما انت عارف بقي المؤمن دايما منصاب
ضحك عبدالله نصف ضحكة فقالت بسمة:
- ايوه كده ياعم اضحك بقي والله هواري ان شاء الله هيبقى كويس اصلي مش هسيبك تنام زعلان. واستطردت وهي تجذبه : وبعدين ده مش ميعاد النوم اصلا قوم ياعم اجبلك طبق بليلة لسه عملاها الاسبوع اللي فات
قال عبدالله وهو يشير إليها بسبابته:
- متأكدة انك كده بتحاولي تبسطيني
قالت بسمة وهي تشير بسبابتها لأعلى:
- اهو بحاول ويكفيني شرف المحاولة
فمسك عبدالله الكرة من جواره وقذفها على بسمة التي ركضت نحو الباب.
*****

صعد أحمد سطح بيته كان الليل قد حل، فلم يطير الحمام جلس جوار عشته، وأسند رأسه عليها وظل يدعي ربه أن ينجي صديق عمره، فقد كانت اسوأ الاحتمالات تأتي في رأسه تذكر عندما كان جالسا يشكي لهواري همه، وقال له أن هناك أمرا يضايقه فقال له هواري مداعبا ليخرجه من حزنه:
- ايه غية الحمام وقعت
ابتسم أحمد ثم قال بصوت خافت:
- يا ريتها هي اللي كانت وقعت يا صاحبي.

*****

فتحت رحمة موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" لتاسع مرة ولم تجده نشطا تضايقت فلم تعرف لماذا غاب اليوم عن العمل ولماذا يختفي على "فيس بوك" تملكها القلق والملل، فخرجت جلست جوار أمها حتى باغتها النعاس ودلفت حجرتها مرة ثانية وقالت بصوت ناعس:
- يا رب خير

واستلقت على سريرها ونامت

*****

أعدت ريم كوبا من الشاي لأحمد وطرقت باب حجرته، كان مستلقيا على سريره ولكنه ليس غافيا فقال:
- ادخل

دخلت ريم وأضاءت الحجرة وقدمت الكوب لأحمد وقالت:
- بحسبك صاحي قولت اعملك شاي
- ماانا صاحي

وقفت ريم مكانها صامتة فكانت تود ان تسأله عن حال هواري ولكنها ترددت وارتبكت فقال احمد:
- عايزه حاجة ياريم!

تنحنت ريم وقالت:
- لا مش عايزه .. محمد هواري عامل ايه دلوقتي
- الحمدلله الدكتور قال حالته بتبتدي تستقر

اومأت ريم برأسها وخرجت،

لامت ريم نفسها على سؤالها لأحمد عن هواري فزمت شفتيها وقالت:
- غبيية

ولكن فرحتها من تحسن هواري طغت على قلقها

*****

ذهب أحمد إلى عمله في الصباح دخل المكتبة وجد حسين ألقى عليه التحية، وجلس جواره فقال حسين:
- ما جتش امبارح ليه ده استاذ مجدي فضل يزعق

قال أحمد:
- كان عندي ظروف جامدة والله يبقى يخصم اليوم لو عايز
- مش حكاية كده هو كان عايزك تتصل تبلغه بس ، ورحمة كانت قلقانه عليك جدا.

في تلك اللحظة دلفت رحمة، فقال حسين:

- اهي رحمة جت اهي

قالت رحمة:
- عاملين ايه

قال حسين:
- تمام

ونهض من مكانه وتركهم وانشغل في أمر آخر ليفسح لهم المجال للحديث بحرية

وقال أحمد:
- الحمد لله انتِ عاملة ايه

جلست رحمة قبالته وقالت:
- الحمدلله بس صوتك ماله ومجتش امبارح ليه

قال أحمد بحزن:
- صاحبي في المستشفى حالته خطيرة
- ربنا يشفيه يا رب عنده ايه

قص لها أحمد ما حدث معه منذ أن سقط إلى أن نقل إلى مستشفى السيد جلال مرورا بالمستشفى التي لم تقبله وتسببت في خطورة حالته

قالت رحمة:
- ان شاء الله هيبقى كويس اول مايتنقل اوضة عادية قولي وانا اخلي اخويا يوصيلك عليه اصله ليه زملا في المستشفى دي

- اخوك دكتور ؟!
- اه اتخصص في الاورام وبقاله سنة ونص بيخترع عقار يقضي على السرطان نهائيا بإذن الله واسترسلت في الحديث قائلة:
- وقته كله للأبحاث والتجارب مبيقعدش معانا غير للأكل بس واستطردت في حزن كان بيحب زميلته وهما في الثانوي وماتت بالسرطان

قال أحمد:
- الله يرحمها

رفعت رحمة حاجبيها في دهشة وقالت:
- ايه ده انا حبيت ادخلك في مواضيع تانية تخرجك من الجو ده قلبتها غم اكتر،
واستطردت : انسى كل اللي فات ده اقولك حاجه مبهجة ؟!

ابتسم أحمد وقال:
- قولي

قالت رحمة وهي تشير علي عنقها:
- امبارح كان خنيق ورخم والمكتبة كانت تنحة اوي من غيرك.

قال احمد:
- تنحة! فين البهجة في كده طيب

زفرت رحمة وزمت شفتيها

ضحك أحمد وقال:
- عارف انك عايزه تقولي اني وحشتك بس مش عارفة
ثم رفع أحد حاجبيه وقال:

طب ما انتي كمان وحشتيني على فكرة

ابتسمت رحمة ابتسامة خجل وقالت:
- وانت رخم اوي على فكرة

قال مجدي وهو مكانه بصوت عال:
- يا احمد البضاعة جت

قال أحمد:
- شوفتي اهي البهجة جت لحد عندي

ضحكت رحمة ونهض أحمد من مكانه وقال:
-جاي اهو

*****

انتي زعلتي عشان الشيشة

قالها هواري بغير وعي وهو يستفيق فقدت تحسنت حالته وتخطى مرحلة الخطر ركضت الممرضة سريعا إلى الطبيب الذي يتابع حالة هواري وقالت له:
- المريض بدأ يفوق يا دكتور وعمال يتكلم

ذهب الطبيب إلى حجرة هواري وقاس له النبض فقال هواري:
- والله يا ريم انا بشربها من زمان بس هحاول ابطلها عشانك

ابتسم الطبيب ابتسامة انتصار، ووضع يده في جيوب معطفه وخرج من الحجرة.

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد ورحمة من المكتبة، قال أحمد : انا هروح لهواري من هنا روحي انت بقى. قطب جبين رحمة فقال أحمد:
- خلاص بلاش التكشيرة دي هروح ونمشي انا وعبدالله بدل ما يفضل يقولي ندل ومش ندل

فرحت رحمة وقالت:
- ايون كده كله الا الندالة

ظلا يتحدثا حتى نزلا المحطة وكالعادة جلب أحمد التذكرتين وأعطاها تذكرتها ووقفا ينتظران المترو حتى جاء وصعد الاثنان، بعد محطتين خلا مقعد فجلست رحمة ووقف أحمد قبالتها دق هاتفه فحدثه عبدالله وأبلغه أن هواري قد فاق وتخطى مرحلة الخطر وأنه في انتظاره ليذهبا له سويا، فرح أحمد وأغلق معه، وقال لرحمة مسرورا:
- هواري فاق خلاص الحمد لله

قالت رحمة:
- الحمد لله اسمه ثلاثي ايه بقى وانا اخلي حازم يوصي عليه

- محمد حسن هواري

- تمام

أشار لها أحمد بيديه وقال:
- هاتي موبايلك

أخرجته رحمة من حقيبتها وقالت:
- خد اهو ميغلاش عليك

قال أحمد مداعبا:
- ميغلاش عليا ايه هو انا هاخده خالص
- اتفضل يا عم التقيل

أخذه أحمد وكتب رقمه وضغط اتصال، فدق هاتفه فأعطاها هاتفها وقال ممازحا:
- استني بقى اما اشوف مين بيرن

ضحكت رحمة وقالت:
- والله دمك خفيف بس ما بتستخدموش للأسف
- سجلي الرقم بقى

ابتسمت رحمة وقالت:
- اعتبره اتسجل
- اشطة هبقى اكلمك النهاردة

قالت رحمة وهي سعيدة:
- ماشي هستناك

اتجه أحمد نحو الباب وقال:
- يلا سلام عشان نازل الجاية
- سلام

*****

ذهب أحمد وعبدالله إلى هواري في المستشفى، وجدا هواري قد انتقل من العناية المركزة إلى حجرة طبيعية وجواره أمه وأبوه وأخوه، وهو مستغرق في النوم، وذراعه الأيسر وساقه اليسرى موضوعان في الجبس، ورأسه ملفوفة بقطن وشاش فألقيا التحية على أسرته وقال أحمد:
- الف حمد الله على سلامته

قالت والدة هواري:
- الله يسلمك يابني

قال عبدالله:
- هو هيفوق امتى

قال رامي:
- الدكتور قال انه فاق النهاردة بس تقريبا كده نايم

قال هواري وهو في غير وعيه:
- ردي يا ريم

تغير وجه أحمد

فقال عبدالله:
- طب احنا هنمشي ونبقى نجيله لما يفوق بقى

قلق أن يقول هواري أكثر من ذلك، فقال والد هواري: تمشوا ايه يا بني انتوا لسه جايين

وقالت أمه:
- اقعدوا ده ابتدى يفوق اهو

جاء الطبيب وقال:
- الحمد لله ربنا كتبله عمر جديد

قالوا جميعا:
- الحمد لله

فقال الطبيب اطراء للجو:
- اومال فين خطيبته من ساعة ما فاق ما بيقولش غير ريم ريم

ضغط عبدالله على أسنانه وأغمض عينيه، فقد زاد الطبيب الطين بله

قالت والدة هواري:
- هو بس يقولي عليها وانا اخطوبها له ان شالله ماكلش ولا اشرب ده الواد كان هيروح مني

نهض أحمد من مكانه وقال:

- نستأذن احنا بقى اكيد عايزين تقعدوا معاه

وخرج دون أن ينتظر منهم ردا، ابتسم لهم عبدالله وقال:
- هنجيله تاني بكرة إن شاء الله

وخرج خلف أحمد وقال:
- استني يا بني انت بتمد ليه

قال أحمد بجدية:
- هواري يقصد ريم مين؟!

- معرفش وبعدين اكيد اي اسم انت عارف هواري مش في دماغه حد

- لا مش اي اسم اشمعني اسم ريم؟ عبدالله لو في حاجه مخبيها عليا قولي

- يا بني هو مفيش غير اختك اللي اسمها ريم؟!
- اه مفيش غير ريم اختي عمره ماجه حكالي انه بيحب واحدة مع انه كان باين عليه انه بيحب فملهاش تفسير غير اختي.

- احمد بطل عبط وشيل الاوهام دي من دماغك

قال أحمد:
- ماشي يا عبدالله بس لو عرفت انك عارف حاجه ومخبي هتبقي في نظري زيه بالظبط خاين العيش والملح.

وجد عبدالله أنه لا مفر من أحمد سيعرف سيعرف فقرر أن يقول له الحقيقة وقال:
- احمد هواري بيحب ريم اختك بس والله والله مابيكلمها خالص.

- وريم تعرف؟

- معرفش

وقف أحمد وقال وهو يهز رأسه :
- انا هعرف تعرف ولا لا

ثم قال بانفعال وهو يطرق على الحائط:
- لو كان بيحبها كان جه خبط على ام باب بيتنا وقال يطلبها ولا هو شايفني ايه

بالظبط اومال لو مكنتش صاحبه كان عمل ايه

قال عبدالله بقلق:
- احمد ماتكبرش الموضوع هواري مش خاين زي ماانت شايف انت اكتر واحد عارف ان ظروفه ماكنتش تسمح وفي الفترة الاخيرة بقى بيطبق في الشغل عشان يخطبها، وأمه قالت انه اما يخف هتخطبله فمتكبرش الموضوع هواري لسه ماخفش وماينفعش تزعل منه في وقت زي ده
- لو حب اختك كنت هتقول كده

صمت عبدالله فقال أحمد:
- شوفت بقى
- شوفت ايه انا ما تكلمتش اصلا .. هواري مأجرمش هو ولا مشي معاها ولا بيكلمها فون

قال أحمد باستهانة:
- انت كمان عايزه كان يكلمها فون ويمشي معاها!!! واستطرد :حبه ليها اصلا جريمة ازاي يبقي في بيتي ومستأمنه ويبقي بيبص لأختي باصة مش تمام كده هو اصلا مش تمام

قال ذلك وغادر فلحق به عبدالله.

*****

فتح هواري عينه بصعوبة، وجد أمه وأباه وأخاه حوله، والصورة مشوشة، رأته أمه فتح عينيه، فابتسمت وأطلقت زغرودة رويدا رويدا فاق هواري وأدرك أنه في مستشفى وقال:
- ايه اللي حصل.. انا في مستشفى صح ؟!

قالت أمه:
- الف حمد الله على سلامتك يا حبيبي

وقال رامي:
- حمد الله على السلامة يا بطل.

وقال أبوه:

- حمد الله على سلامتك يابني

قال هواري:
- الله يسلمكم هو انا هنا ليه

قال رامي:
- وقعت من على السقالة في الشغل من يومين وربنا كتبلك عمر جديد

سرعان ما تذكر هواري لحظة سقوطه وتجمع العمال حوله وغابت الصورة عن ذهنه عند ذلك

فقال:
- اومال احمد وعبدالله ما جوش

قالت أمه:
- دول هما اللي بلغونا باللي حصلك وكانوا هيموتوا من القلق عليك وجم من شوية مكملوش خمس دقايق ومشيوا

قال هواري:
- مقعدوش ليه

قال رامي:
- انت كان قصدك ريم اخت احمد واستطرد وهو مغمضا احد عينيه ولا قصدك ريم مين!

هم هواري ان يعتدل فتألم وقال باهتمام:
- ريم ايه.. ايه اللي حصل؟!
- اصلك كنت عمال تقول يا ريم والدكتور جه قال انك من ساعة ما فوقت وانت بتقول ريم فأول ما احمد سمع كده قام ماشي

اغمض هواري عينه وقال بضيق:
- يا لهوي

*****

طرق أحمد باب بيته بقوة، ففتح ياسين ودخل أحمد وقال بعصبية:

- فين ريم؟؟

قالت منار:
- جوه

خرجت ريم من حجرتها وهي تقول:
- في ايه ؟!!

أمسكها أحمد من شعرها وقال:
- ايه اللي بينك وبين هواري؟!

دمعت ريم وقالت بخوف:
- والله ما في حاجة

قال أحمد:
- اومال كنت قلقانة عليه ليه وكل شوية تسأليني عليه وانا من هبلي كنت بقولك اخباره بتاخديني كوبري وانا مش عارف

قال ذلك وصفعها على وجهها، أمسكت ريم وجنتها وظلت تبكي فخرجت عزيزة من المطبخ،

ركضت ريم إليها وارتمت في حضنها وهي تزداد في بكائها فقالت عزيزة:
- في ايه؟..ايه اللي حصل ياولاد بتزعق ليه يا احمد؟

مسك أحمد ريم وقال بانفعال:
- انطقي

قال كمال من حجرته بصوت عال:
- في ايه يا احمد؟ بتضرب اختك وانا عايش ولا اكمني عاجز؟

جلس أحمد على مقعد بجواره وظل يستغفر ربه وركضت ريم إلى حجرتها وهي تبكي.

*****

ظلت رحمة منتظرة مكالمة أحمد ولم يتصل، فجلست تكتب خواطرها لتضيع وقت

الانتظار إلى أن نادت عليها صفاء وقالت:
- تعالي جهزي معايا العشا ابوكِ جه

قالت رحمة:
- حاضر
ومشت خلفها إلى المطبخ ووقفتا يعدون الطعام.

قالت صفاء:
- محمد عزمي صاحب ابوكِ عايز يجوزك لعلاء ابنه

قالت رحمة:
- مش هتجوز صالونات يا ماما ريحي نفسك
- هييجوا يتغدوا معانا يوم الجمعة وشوفوا بعض ودماغ بعض قبل اي كلام وقبل اي حاجة
- وكده بقي مبقاش صالونات وبقى جواز سفرات على اساس انهم هيقعدوا السفرة بقى وكده

قالت صفاء:
- مش فاهمة يعني انتي عايزه تتسرمحي الاول وتدوري علي حل شعرك مثلا

- ماقولتش كده

- اومال معنى كلامك ايه غير كده

- واحد يشوفني اعجبه ييجي يخطبني زميلي بقى في الشغل اي حاجة يعني

- طب اللي هييجي ده ممكن تعجبيه ويعجبك

- لا مش هيعجبني ده اسمه علاء يا ماما وفي ناس بتنطقه عيلاء يرضيكِ ابقى مرات عيلاء؟

*****

في صباح اليوم التالي ذهب أحمد إلى العمل دخل المكتبة وجد رحمة، وحسين كان في المخزن يرتب أشياء فقالت رحمة مداعبة:
- صباح الخير يا كابتن ياللي مش قد كلامك ملمحة لأمر عدم اتصاله بها كما قال.

قال أحمد:
- صباح الخير

قطبت رحمة جبينها وقالت:
- مالك صاحبك لسه تعبان ؟! واستطردت : انا قولت لحازم وزمانه وصى عليه مش اسمه محمد حسن هواري برضه

قال أحمد بضيق:
- محمد زفت

قلبت رحمة شفتيها وقالت:
- ايه ده بقى ان شاء الله امبارح كنت هتموت من القلق عليه واول ماعرفت انه فاق كنت طاير من الفرحة، والنهاردة مش طايقه في ايه ؟

تردد أحمد يقص لها أم لا صمت قليلا ثم نظر في عينيها وقال بهدوء:
- مفيش
- يا سلام والمفروض اني اصدق كده

جاء مشترٍ قامت رحمة لتبيع له فكان العمل الحقيقي يبتدأ من الساعة الحادية عشرة صباحا يأتي طلاب وتجار جملة ليبتاعوا، انهت رحمة مع المشتري وعادت إلى أحمد جلست جواره ونظرت أمامها وقالت:
- احمد انا لو فرضت نفسي عليك وانت محروج تقولي صارحني واوعدك مش هزعل

تفاجأ أحمد وقال:
- ايه اللي خلاكي تحسي الاحساس ده!!
- شكلك بيقول ان حصل حاجة كبيرة مضايقاك وبتقولي مفيش .. احنا لو مش هنشيل عن بعض ونخفف عن بعض تبقي علاقتنا ملهاش لازمة كان نفسي تيجي من نفسك تحكيلي اللي مضايقك ولو في مشكلة احلها معاك ليه دايما بتحب تحمل نفسك فوق طاقتك

زفر أحمد في ضيق وقال:
- ينفع احكيلك ان صاحبي بيحب اختي والدنيا كلها خربانة في دماغي ومش عارف

اعمل ايه دي حاجة تتحكي!! مش عايزك بقى تقولي تاني كلمة فارضة نفسك عليا دي قولتلك انا حبيتك من البداية قبل ماتقولي اي كلام وانا كنت هحكيلك على فكرة بس اعرفي ان في حاجات عايزه لح منك عشان اقدر احكيلك

قالت رحمة:
- انا اسفة

- ماتتأسفيش
- طب احكيلي بقي زعلان ليه ان صاحبك بيحب اختك
رفع احمد حاجبيه باندهاش وقال:
- ايه ده هي حاجة تفرح

- اه حاجة تفرح انا لو صاحبتي حبت اخويا هفرح ان هنبقي نسايب ومع بعض وكده

قال أحمد ممازحا:
- والله شكلي حبيت واحدة عبيطة
- الحمد لله انك عرفت عشان ماتتفاجئش بعدين

ابتسم أحمد ثم قال بجدية:
- الموضوع مختلف يا رحمة صاحبي لو حب اختي من ورايا وما طلبهاش مني يبقى خاني

قالت رحمة:
- واختك بتحبه؟

قال أحمد بضيق:
- معرفش شكلها كده امبارح ضربتها ومعرفتش اتفاهم معاها واللي مزعلني اني ضربتها، اول مرة اضربها اصلا وكمان جرحت ابويا المريض الموضوع اتعقد

- اقولك حاجة بس متزعلش مني

- قولي
- ليه تقبل انك تحب واختك يبقى ممنوع عليها الحب، هو انا مش اخت واحد برضه .. لو اختك وصاحبك حبهم بريء وهو ناوي خير يبقى ما ينفعش تزعل والا هتبقى

متناقض .. المطلوب منك دلوقتي تفهم الموضوع كويس وتشوف هتعمل ايه بالهدواة بعيدا عن التعصب والضرب، عشان الضرب بيعقد المشاكل مش بيحلها وكمان صاحبك في وقت محتاجك تبقى جنبه مش تزعل منه ولو بيحبها بيجي يخطبها

اقتنع أحمد بكلام رحمة وظلا يتحدثان حتى بدأ الناس يتوافدون على المكتبة وانشغل كل منهم في عمله.

*****

ذهب عبدالله وقت الظهيرة وحده إلى هواري في المستشفى، وجد أمه معه ألقى عليهم التحية وقال عبدالله:
- حمد الله على السلامة يا وحش

قال هواري:
- الله يسلمك

فقالت أمه:
- اومال احمد مجاش ليه

قال عبدالله:
- في الشغل اكيد هيبقى ييجي روحي انت ياخالتي ام محمد ان بقى وراكي حاجة تعمليها وانا هقعد معاه

قالت والدة هواري:
- ان شالله يخليك ورايا حاجات كتير كنت لسه هتصل برامي

قال عبدالله:
- انا في الخدمة يا خالتي ده محمد اخويا

قامت لملمت أشياءها وغادرت وتركتهم.

قال هواري فور خروجها:

- ايه اللي حصل احمد عرف حاجة ؟!

- اه يا فالح قولت ريم وانت بتفوق والزفت الدكتور هو التاني جه بهدل الدنيا اكتر

وقال انك من ساعة مافوقت ما بتقولش غير ريم

- طب وعمل ايه ؟!
- قعدت اقنعه انك بتقول اي اسم ما صدقش وزعل مننا احنا الاتنين وشايفنا خاينين لحد ما قولتله الحقيقة .. بصراحة احنا غلطنا من الاول ياريتك يا اخي ما عرفتني هو عنده حق كنت تفهمه ظروفك على الاقل يكون ربط كلام ويكون عارف احسن من كده ده زمانه روح نفخ ريم

قال هواري بحزن:
- هو ده اللي كنت خايف منه ان ريم تشيل الليلة وهي ملهاش ذنب انا ما غلطش يا عبدالله

لو اترفضت كان هيبقى في حاجز بين صداقتنا ومكناش هنبقى مع بعض زي الاول ... انا مش عايز اخسره يا عبدالله انت عارف انت واحمد بالنسبه ليا ايه انتوا اللي طلعت بيكوا من الدنيا ما ينفعش اخسر حد فيكوا كلمه والنبي يا عبدالله خليه يجيلي وانا هعتذرله وهفهمه كل حاجة عشان خاطره وخاطر ريم ماينفعش اخسر حد منهم

تأثر عبدالله وقال:
- احمد مش ممكن يخسرك هو ممكن يزعل شوية اه لكن عمره ماهيفرط فيك انت مشوفتوش كان مخضوض عليك ازاي بس استني لما يهدى وهو هيجيلك لوحده مش ممكن يسيبك في شدتك احمد طيب وقلبه ابيض وانت عارف
- انا خايف على ريم انت عارف كل حاجة من البداية انا راعيت ربنا وحق صداقتنا ومكلمتهاش انا خدت منها وعد بس تستناني.
- انا قولتله كده .. قولتله انك بتحبها بس ماكلمتهاش. واستطرد في مرح : شد حيلك انت بس عشان تفك الجبس وتروح تخطبها ونفرح بقى ياهواري وربنا لنخربها

ابتسم هواري نصف ابتسامة ثم قال باستغراب:
- اومال انت مش في شغلك ليه!

ضحك عبدالله وقال:
- اترفدت
- ليه! انا حاسس اني كنت في غيبوبة من السنة اللي فاتت حاجات كتير حصلت في

يومين
- ابدا ياسيدي كان في اوردر واتعطلت على كوبري اكتوبر من الزحمة واصحاب الاوردر اشتكوني والمدير طردني.

وظلا يتحدثان كثيرا حتى جاءت والدة هواري.

*****

انتهى موعد العمل وغادر أحمد ورحمة وقفت رحمة عند محل بقالة وقالت:
- استني

توجهت إلى المحل وابتاعت منه شيكولاتة وعادت إلى أحمد وأكملا سيرهم فأعطت أحمد الشيكولاتة وقالت:
- امسك صالح بيها اختك وافهم منها، شيكولاتة بابلي ومش هتاخد في ايدك دقيقتين مصالحة

أمسكها أحمد وقال مبتسما:
- ماشي

- هي اسمها ايه صحيح

- ريم هي في٣كلية دار علوم وفي منار في ٢ثانوي وياسين في ١اعدادي

قالت رحمة:
- وانا عندي هدير في اولى آداب وحازم دكتور

واتجه الحديث إلى حياتهم الخاصة

*****

طرق أحمد الباب فتحت له عزيزة كانت ريم جالسة فقامت عندما جاء أحمد ودلفت حجرتها، سلم أحمد على أمه وإخوته واتجه إلى حجرة ريم، دلف وجدها جالسة على سريرها وقالت دون أن تنظر له:
- اقفل النور عشان هنام

زم احمد شفتيه ومسح جبينه وقال:

- في حد ينام الساعة ٦المغرب!
- انا

قالت ذلك واستلقت وجذبت الغطاء عليها
هز أحمد رأسه وقال:
- اه زعلانة يعني

صمتت ريم ولم تنبس ببنت شفة، فجلس أحمد على حرف السرير وقال:
- طب حطي نفسك مكاني وشوفي هتتصرفي ازاي ؟ رفعت ريم الغطاء عليها وجلست معتدلة وقالت:
- انا ما عملتش حاجة غلط عشان تضربني
- يعني انت مالكيش علاقة بيه!

صمتت ريم فقال أحمد:
- ردي

ثم قال مطمئنا إياها:
- قولي الحقيقة وأوعدك مش همد ايدي عليك وآسف اني ضربتك امبارح والله غصب عني

قالت ريم دامعة:
- اطمن انا مش ممكن اوطي راسك واكلم صاحبك من وراك

ابتسم أحمد وقال:
- يعني مالكيش علاقة بيه!

قالت ريم وهي مازالت تبكي:
- مرة كنت راجعة من الجامعة متأخر وفي اتنين كانوا عمالين يعاكسوني عند المستشفي محمد شافني وضربهم وهما جروا وبعدين فضل ماشي ورايا لحد ما جيت شارعنا يطمن عليا بحكم اني اخت صاحبه يعني ... ومشي صمتت ريم تلتقط انفاسها

كان أحمد يستمع في اهتمام وأكملت
- بعدها بشهرين بالصدفة شافني كنت بجيب طلبات ومنار راحت تجيب حاجة وكنت

مستنياها وواقفة جه قالي في حاجة قولتله لا انا مستنيه منار فاجئني وقالي انه بيحبني وعايزني استناه لحد ما يتقدم عشان ساعتها انت كنت قايله على نادر قالي قولي موافقة ولا لا عشان عارف ان وقفتي دي غلط قولتله موافقة ومشي بس كده ومن ساعتها ماتكلمناش

مط أحمد شفتيه وقال بضيق:
- طب يعني ينفع انه يوقفك يقولك حاجة زي كده وانا معرفش

- ما انا لو كنت قولتلك كنت هتزعل منه

- طب كويس انك عارفة انه غلطان
- طب هو يعمل ايه ظروفه ماكنتش تسمح انه يتقدم ساعتها وخاف اتخطب قال يعرفني يعني انت لو حيت واحدة وحسيت انها هتتخطب هتعرفها ولا لا

تجاهل أحمد ما قالته وقال:
- يعني افهم من كده انك بتحبيه

صمتت ريم فقال أحمد بصرامة:
- بتحبيه ولا لا

لم تجبه ثانية فقال أحمد مرحا:
- يا هبلة انا بسألك عشان لو بتحبيه اخليه ييجي يخطبك وهو مدغدغ كده وشبه كيس القطن.

ضحكت ريم ومسحت عبراتها بطرف اناملها فقال أحمد:
- يلا بقي قومي اعمليلي شاي

افتعلت ريم الضيق وزوت ما بين حاجبيها وقالت:
- ايه ده،، لا انا لسه زعلانة

أخرج أحمد الشيكولاتة التي أعطته إياها رحمة من جيبه وقال:
- والله خسارة فيكي

أخذتها ريم من يده وقفزت من السرير وقالت:
- ياسلام ده انت تؤمر يا ابو حميد احلي كوباية شاي دلوقتي. واتجهت إلى المطبخ

تعدها له.

*****

رأت عزيزة ريم خرجت من حجرتها سعيدة وأحمد خلفها فقالت:
- سبحان مغير الأحوال ربنا يهديكم يا ولادي ويخليكم لبعض

دخل أحمد حجرة أبيه كان نائما فقام من ضوء المصباح الكهربائي، ذهب أحمد إليه قبل جبينه واعتذر منه على موقف أمس وقال:
- اسيبك تكمل نومك بقى ولما تصحى ابقى اطلعك بره ونقعد مع بعض كلنا، تصبح علي خير

اومأ والده وقال:
- وانت من اهله

أغلق أحمد مقبس الكهرباء وخرج وجد ريم أعدت للتو كوب الشاي أخذه ودخل حجرته جلس على سريره وأخرج هاتفه وهاتف رحمة.

*****

سمعت رحمة رنين هاتفها ركضت إليه وجدته أحمد اتسعت ابتسامتها وفتحت المكالمة وقالت:
- الو

قال أحمد:
- ايه يارحمة

- عامل ايه ؟

- الحمد لله تمام انتِ عاملة ايه ؟

- الحمد لله تمام طول ما انت تمام

- رجعت امتى ؟

- من نص ساعة بس واستطردت صالحت ريم ؟!

- اه طلعت بتحب هواري بس ما كنوش بيتكلموا بيحبوا بعض من بعيد بس

- الله بحب الجو ده زينا في الأول فاكر

- اه ياختي فاكر المعاناة
- يا سلام ما كنش باين اي حاجة انا اللي كنت بعاني عشان معرفش انت بتحبني ولا لا وبعدين تعاني ليه ده انا كنت مدلوقه عليك دلقة هباب وانت عامل فيها عم التقيل
- والله من ساعة ما شوفتك وانا بعاني ساعات كنت بحسبك مرتبطة بحسين وساعات كنت بقول هي من المعادي وانا من السيدة وحاجات كتير

ضحكت رحمة وقالت:
- معادي ايه ياعم ده انا ساكنة في فايدة كامل منطقة عادية مش صقر قريش يعني وبعدين حتي لو انا ساكنة في قصر الاتحادية وانت في حارة برضه كنت هحبك

قال أحمد مداعبا:
- اه ما انا زي دجاج كتتاكي لا اقاوم انا عارف

ضحكت رحمة وقالت:
- بالظبط كده لا تقاوم. واستطردت : هتروح لهواري امتى ده حازم وصى جامد عليه
- هروح بكرة ان شاء الله هستأذن من استاذ مجدي قبل الميعاد بساعتين كده واروح له عشان متأخرش عن مواعيد الزيارة

ظلا يتحدثان كثيرا، فكانت تلك المكالمة ثاني مهاتفة لهم منذ أن عرفا بعض، كانت الأولى لا تتعدى الدقيقتين عندما نسيت رحمة هاتفها معه.

*****

بعدما أنهت رحمة المكالمة خرجت من حجرتها جلست مع أسرتها إلى أن جاء أبوها واكتملت الأسرة، قال حازم مبتسما:
- عندي ليكم مفاجئة حلوة جدا

حثوه جميعا على أن يقول فقال:
- انا حصلت على براءة اختراع من اكاديمية البحث العلمي

صرخت هدير ورحمة وصفقوا جميعا واسترسل حازم مكملا:

- كده مش فاضل غير اني اروح وزارة الصحة بكرة لتبني الاختراع وبعدين العقار يتصنع ان شاء الله والسرطان يبقي مرض عادي زيه زي نزلة البرد

قال شاهين:
- خير ان شاء الله

وقالت صفاء:
- ربنا يكرمك كمان وكمان يا حبيبي اكيد ربنا مش هيضيع تعبك ومجهودك

قال حازم:
- تعبي ومجهودي دول مش هحس بيهم من ابتسامة أول مريض بعد الشفا ان شاء الله

قالت رحمة:
- يا بختك يا عم مش متخيل كم الناس اللي هتدعيلك

وقالت هدير:
- ده غير انك هتبقى حديث الساعة بقولك ايه يا زومة هي آداب تاريخ مابيطلعش منها مخترعين

قال حازم ممازحا:
- بسؤالك ده تقريبا بيطلع منها متخلفين

فقالت هدير:
- طب ما في دكاترة متخلفين فاكره يا ماما لما الدكتور جبسلك رجلك غلط وطلعت ماكنتش مكسورة اصلا ولا المريض اللي نسيوا في بطنه فوطة وخيطوا عليها اسكت يا عم ده بتحصل بلاوي واليوتيوب بقى في كل حتة.

فضحكوا جميعا وقال حازم موجها كلامه لصفاء:
- انت كنت بتتوحمي على ايه في البت دي

*****

الساعة كام

قالها أحمد لرحمة في المكتبة نظرت رحمة في ساعتها وقالت:

- ٢ونص

قال أحمد:
- عايز استأذن بقى عشان اروح لهواري
- طب روح قوله

قال أحمد:
- ماشي وابقي استني ماتمشيش عشان بعد الزيارة هجيلك عشان أوصلك ونرجع مع بعض.

ابتسمت رحمة وقالت:
- ماشي ما تتأخرش

استأذن أحمد من مجدي وسمح له وغادر المكتبة وذهب إلى المستشفى

*****

نزل رامي يبتاع احتياجات لهواري وقال له هواري قبل أن ينزل أن يقوده بالمقعد المتحرك أمام نافذة الحجرة، ظل ينظر من النافذة في شرود فوجد يدا وضعت على كتفه من الخلف حاول أن يلف رأسه لكنه تألم فقال أحمد:
- معرفتنيش من ريحة البرفيوم حتى

قال هواري متفاجئا:
- كنت عارف بس كدبت نفسي

قاده أحمد بالمقعد تجاه السرير وساعده على الاستلقاء عليه وجذب مقعدا آخر وجلس قبالته وقال:
- رغم انك ندل وانت عارف بس مكنتش اعرف انك هتوحشني بسرعة كده

قال هواري:
- حقك عليا يا صاحبي و والله اول ما افك الجبس هاجي اتقدم لريم انا كلمت امي وابويا ووافقوا

قال أحمد مداعبا:
- هو ده اللي هيحصل ومش بمزاجك اصلا انت اتدبست خلاص واللي انكسر لازم

يتصلح

ضحك هواري وقال:
- احلى تدبيسة والله

قال أحمد مداعبا:
- ماخلاص يابني انت هتسوء فيها ولا ايه دي اختي
- اسف يا اسطي

*****

رأت رحمة حسين جالسا في أحد أركان المكتبة شاردا ويبدو عليه الحزن فذهبت إليه وقالت:
- مالك ياسحس

قال حسين:
- ماليش منى هتتخطب

شهقت رحمة وقالت متلعثمة:
- ليه.. قصدي ازاي مش كنت بتقول انها باين انها حبيتك
- اه باين انها حبتني بس انا ما قولتلهاش حاجة وواحد جاهز اتقدم وعمي ومراته موافقين عليه واقنعوها بيه وهي ماينفعش تستني واحد لسه مكونش حاجة ولا حتى قالها حاجة ربنا يتململها على خير هي مش عليها لوم

قطبت رحمة جبينها وقالت بحزن:
- طب كنت قولها ياحسين انت بتحبها من سنين حرام تسيبها تضيع منك
- قولتلك كذه مرة ماكنش ينفع اني اقول وانا بدخل بيتهم وكمان لسه قدامي تلات اربع سنين على ما ابقى جاهز اقولها تستناني لو فاضلي سنة مثلا انما اقولها وهي على وش جواز استنيني اربع سنين ده انا كده ابقي بجح

*****

دخل عبدالله وجد أحمد جوار هواري يضحكون فقال:
- الله الله بقى انا قاعد في البيت اشوف حلول لمصالحات ومعاهدات دولية وشروط جزائية واحكام ليكوا انتوا الاتنين وسايب الماتش وانتوا هنا بتضحكوا وزي السكينة

في الجاتوه
جذب مقعدا جلس عليه وهو يستطرد : أقول ايه بس

ضحك هواري وقال:
- ما تقعد بقى الله يحرقك انت بتفكره تاني ليه

قال أحمد:
- خلاص يا سطى حصل خير. واستطرد موجها حديثه إلى عبدالله :
- بقولك ايه ما تيجي نسيب هواري في الجبس ونروح نتفرج على الماتش

قال عبدالله:
- والله يا ريت

قال هواري:
- انا ولا الماتش يا رجالة

فقال أحمد وعبدالله في آن واحد:
- الماتش طبعا

وضحك الثلاثة فجاء رامي رفع يديه الاثنين وهو يقول:
- الحمد لله اصحابك معاك اهم اروح اتفرج على الماتش تحت على القهوة انا بقى

قال هواري:
- حتى انت يا رامي! في ايه يا اخوانا ده انا لو بجنيه لب مش هتعملوا معايا كده

قال أحمد موجها حديثه لرامي:
- خد يا بني هنا انت مش زملكاوي عايز تتفرج على الماتش ليه

قال عبدالله:
- اكيد عشان يشمت

قال هواري:
- وكل مرة انا اللي بشمت فيه اصلا وبرضه ما بيحرمش

فضحك الثلاثة وقال رامي وهو متجه نحو الباب:
- انتوا هتتكاتروا عليا ولا ايه.. لا انا انزل احسن. خرج ثم عاد أطل برأسه لهم وقال:

يارب تتغلبوا ٠/٣ . وركض مسرعا

فقال الثلاثة:
- يلا ياض من هنا

*****

بعد انتهاء الزيارة أثناء مغادرة أحمد وعبدالله قال أحمد:
- ماروحتش الشغل النهاردة ولا ايه
- هو انا ماقولتلكش.. مش انا اترفدت

وقص له عبدالله ما حدث معه وقال:
- الواد مصطفي بنزينه قالي على سفر وبفكر في الموضوع ده والله البلد دي لو قعدت اشتغل فيها عمري كله مش هعرف اجمع قرش يعيشني عيشة نضيفة

- سفر ايه يا بني هتروح فين وهتشتغل ايه

- هسافر ايطاليا عن طريق البحر وهشتغل اي حاجة هناك

قال أحمد باستنكار:
- هتشتغل بتغسل اطباق ولا بتمسح عربيات ... شيل الفكرة دي من دماغك يا عبدالله البهدلة هنا وسطينا احسن ماتتبهدل لوحدك في الغربة،، غير كده سفر البحر ده خطر جدا ومش قانوني كمان ما ينفعش انا مش موافقك في الرأي ده
- ياعم العمر واحد والرب واحد وفكك من قانوني ومش قانوني دي ما تتكلمش بشهادتك اللي مرمية في البيت ملهاش اي تلاتين لازمه انا هروح اشتغل هناك سنة ولا سنتين وارجع اعيش ملك احسن ما اعيش هنا طول عمري مذلول

قفز عبدالله في أتوبيس نقل عام وصعد وقال لأحمد:
- اركب يا بني

قال أحمد:
- لا انا رايح الفجالة عشان اوصل رحمة قايلها تستناني كان الاتوبيس قد بعد عنه فأعلى صوته وقال:
- هبقى اجيلك على القهوة بالليل نكمل الموضوع
- ماشي هستناك هناك

*****

وصل أحمد إلى المكتبة الساعة الخامسة وخمس دقائق دخل وجد رحمة تنظر في ساعتها فقال:
- خلاص انا جيت اهو

نظرت له رحمة مبتسمة أمسكت حقيبتها ونهضت وخرج الاثنان من المكتبة وقالت:
- عندك خمس دقايق تأخير ياكابتن

قال أحمد مداعبا:
- بعترف ولذلك ارجو بتخفيف العقوبة على موكلي اللي هو انا يعني

ضحكت رحمة وقالت:
- خلاص حكمت المحكمة اللي هو انا يعني بالعفو عنك
واستطردت بجدية: ليه مفكرتش تفتح مكتب وتشتغل محامي

ابتسم أحمد نصف ابتسامة وقال:
- محامي ايه يا بنتي ده المحامين بقوا اكتر من المتهمين انا طموحي كان اكبر من كده كان نفسي ابقى قاضي بس معنديش واسطة وابويا قبل ما يطلع معاش كان موظف بسيط .. بس فما ينفعش يعني

- باباك طالع على المعاش من زمان

- لا ده طالع معاش مبكر عشان ظروف مرضه

- هو مريض بإيه

- الكبد

- بس اعرف ناس كتير بالمرض ده وكويسين

قال أحمد بحزن:
- اكتشف المرض متأخر وكمان العلاج تعب له الكلى والطحال ووقع قبل كده جاله كسر في الحوض يعني حاليا هو قعيد مش بيمشي وما ينفعش يعمل عمليات عشان حالته ما تسمحش
- ربنا يشفيه ويعافيه ويخليه ليكم يا رب

قال أحمد:
- اللهم امين. واستطرد : اصبري بقى اروح اجيب التذاكر

ذهب أحمد يجلب التذاكر مسرعا وأول ما ابتعد مسح دموع حبيسة على ذكر حال أبيه وعاد إلى رحمة ووقفا في انتظار قدوم المترو.

*****

عادت رحمة إلى البيت فتحت لها هدير دون أن تنطق بكلمة، ووجدت صفاء جالسة متربعة يبدو عليها الحزن، فقالت رحمة باستغراب:
- مالكم

قالت هدير:
- وزارة الصحة رفضت تبني اختراع حازم

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- لييه ؟! مش خد براءة اختراع من أكاديمية البحث العلمي

قالت هدير:
- رفضوا وفضل يقنع المسؤولين في الآخر قالوله يعرض الموضوع علي جامعة القاهرة

قالت رحمة:
- تمام لسه الأمل موجود

تدخلت صفاء قائلة:
- ده كلام بيقولوه عشان يسكتوه.. كأنه واحد من الشارع مش دكتور تعب وسهر ليالي وشهور واحد من المسؤولين قالهاله على بلاطة مفيش فلوس لتمويل الأبحاث والاختراعات.

قالت رحمة:
- اومال فين حازم

قالت صفاء:
- في اوضته ادخلي هوني عليه شوية

اتجهت رحمة نحو حجرته وطرقت الباب وانتظرت إذن الدخول، فطرقت الباب ثانية وقالت:
- يا حازم

كان حازم جالسا على سريره ودموع القهر في عينيه، يمسك بصورة في يده مسح دموعه بأطراف أصابعه وازدرد ريقه وقال متماسكا:
- معلش يا رحمة مش عايز اتكلم مع حد دلوقتي

نظرت رحمة إلى الأرض وزمت شفتيها، واتجهت إلى غرفتها فقالت صفاء:
- ربنا يجبر بخاطرك ويفرحك يابني

*****

نظر حازم لصورة ميرنا تلك التي كان يحبها وتحبه أيام مراهقتهم، كان قد أحبها بكل جوارحه واستنفذ كل مشاعره لها لذلك عندما ماتت قرر أن يوهب حياته في البحث عما قتلها ليأخذ بثأره منه وينهيه من الوجود ذلك السرطان اللعين الذي لا يترك أي جسد يلتصق به. قال ناظرا إلى الصورة والدموع تسقط من عينيه:
- سامحيني يا ميرنا مقدرتش انفذ وعدي واقضي على السرطان زي ما قولتلك بس والله انا عملت كل اللي اقدر عليه وزيادة بلدي هي اللي ما قدرتنيش.

صمت قليلا وأخذ نفسا عميقا ثم استطرد :
- كان نفسي يبقى مفيش مريض سرطان على وجه الأرض عشان محدش يتوجع على حد بيحبه زيي موتك كسرني اوي يا ميرنا ... انا مش عارف اشوف غيرك في الدنيا انا محاولتش اشوف غيرك اصلا بقي عندي ٢٩ سنه سبتيني من ١١سنة ولسه مش مقتنع انك سيبتيني انا تعبت اوي والله. حتى ماما كل شوية تقولي على عروسة اخطبها وانا بقولها لا مش دلوقتي.

ابتسم ابتسامة واهنة وأكمل قائلا : اصلي ما قولتلهاش اني مش ناوي اتجوز ومستنيكي زوجة ليا في الجنة ... سامحيني عشان معرفتش انفذ وعدي ليكي بس اوعدك تاني اني مش هيأس وهقدم الاختراع ده لبلد تانية وهسيب مصر كلها عشان بس العقار يتصنع قال ذلك وضم الصورة إلى صدره وظل يبكي بحرقه فقد رأى حلم حياته يتحول إلى كابوس أمام عينيه ومجهود أيام وسهر ليالي كثيرة قد ذهب سدى.

الاسوأ من انهيار احلامك ان تنهار معها وعودك

*****

يعني عايز تقنعني ان هنا مفيش بهدلة

قالها عبدالله لأحمد أثناء جلوسهم على المقهى.

فقال أحمد:
- ما قولتش كده بس هناك بهدلة وهنا بهدلة يبقى البهدلة في بلدك احسن من الغربة

- لا هناك بيعاملوا الانسان على انه انسان مش ترس في مكنة او حيوان

- نفسي افهم مين مفهمك الكلام ده يابني انت عربي وكمان مسلم وهما عندهم عنصرية يعني هناك هيتعاملوا معاك على انك ارهابي
- ما تحاولش انا جبت اخري وزهقت وخلاص خدت قرار وانت عارف صاحبك اما بيصمم على حاجة

قال أحمد:
- يابني اومال انت لو مكاني كنت عملت ايه الحمل كله عليا
- وانا مش هستني لما ابقى زيك ابويا يجيله مرض ومعرفش اعالجه قالها عبدالله دون ان ينتبه او يقصد جرح مشاعر صديقه

فأغمض أحمد عينيه وفتحها وقال بحزن:
- ربنا يديله الصحة وما يجيلوش اي امراض

انتبه عبدالله وقال مصححا:
- مش بتكلم عنك انت عارف يا احمد ان امي ماتت بالسكر وساعات مكنش بيبقي معانا تمن علاجها
- ما تضايقتش كلامك صح انا فعلا مش عارف اعالجه في مكان كويس

قال عبدالله:
- يا بني والله ما اقصد كده انا قصدي ان لو ابويا تعب انا مش هعرف اعالجه

صمت الاثنان فقطع ذلك الصمت عبدالله وقال ملطفا للجو:

- مش البت ساره شافتني امبارح مع ولاء وجت شردتني الله يحرقها واتخانقت هي وولاء وشتموا بعض

ضحك أحمد رغما عنه وقال:
- وحصل ايه

- معرفش سيبتهم ومشيت حاسس انهم ضربوا بعض اصل الاتنين شلق

- يا بني اتلم بقي وركز في واحدة بس

- اركز ايه يا عم دي بنات عايزه الحرق

- اومال مصاحبهم ليه ؟!
- اي واحدة بصاحبها بتكون عارفة انها بتضيع وقت وخلاص واول ما يتقدملها واحد جاهز تقولي اسفة انت تستاهل واحدة احسن مني. واستطرد :
- فاكر البت ريهام اللي شوفتها معايا قبل كده لما جت تتخطب بتقولي اسفة ياعبدالله انت تستاهل واحدة احسن مني قولتلها احسن منك ايه يابنت الجزمة انتي مصدقة نفسك قالتلي يلا ياحيوان ياسافل

قال الأخيرة وهو مقلدا لصوتها.

ضحك أحمد واستطرد عبدالله مكملا حديثه
- يعني هما بيبقوا عارفين وبيقضوها وانا كذلك واشطة يعني

قال أحمد بجدية:
- يا بني السكة دي اخرتها وحشة خاف على اختك بسمة او مراتك او بنتك اللي لسه في علم الغيب انت مكنتش كده ياعبدالله ايه اللي جرالك ايه اللي حولك من شاب مستقيم لشاب ضايع انا من زمان وانا نفسي اقولك الكلمتين دول وجه وقتهم

ضحك عبدالله نصف ضحكة وقال بوهن:
- عشان كل حاجة بقيت عك في عك من اول حال البلد للأهالي اللي بيطلبوا مهر وشقة وعفش ودهب وطلبات تعجيز لأفلام السبكي للبس البنات وانا شاب عادي مش سيدنا يوسف قولي ازاي يبقي حواليا كل ده وعايزني ابقي نضيف
- لا يا عبدالله كان كله عمل زيك كده ورمى حجته على الظروف اللي حواليه اعمل

حساب لأخرتك حتى يا اخي

قال عبدالله:
- انت يا احمد اللي مثالي زياده عن اللزوم

نظر له أحمد وقال:
- انا مش مثالي انا بحاول على قد ما اقدر ما اعملش حاجة غلط عشان في اخرة يعني حساب وعندي اخوات بخاف عليهم
- انت فاكرني مبسوط كده يعني عشان كده بقولك هسافر هسيب الماضي كله وارجع ابدأ صفحة جديدة علي نضيف وارجع وانا ليا قيمة مش كل شوية اشتغل عند حد واتهان اللي يرفدني واللي يديني ملاليم وعلي ايه ... انا اتغرب واتمرمط سنة او سنتين واجي اعيش ملك

قال أحمد يائسا:
- براحتك يا عبدالله بس صدقني اليوم في الغربة هيعدي عليك بسنة والمرمطة هناك مش هتبقى زي هنا على الاقل هنا لما الدنيا تضيق عليك هتلاقي صاحب تشتكيله او اختك تحكيلها

قال عبدالله:
- معايا ربنا اللي احسن من اي حد وهشتكيله.

*****

تعافى هواري تماما بعد عشرة أيام قضاها في المستشفى واثنين وعشرين يوما في منزله، وكان اليوم ميعاد فك الجبس عنه فنادى على أمه وقال:
- ماما

لم تجيبه نهلة فكرر نداءه بصوت عال:
- ماماا !

جاءت نهلة من المطبخ وقالت:
- عايز ايه يا زفت

قال هواري مداعبا:
- زفت! الله يرحم اما كنت في المستشفى كان يا حبيبي ويا قلبي ويا نور عيني و يا

صوابع رجلي

ضحكت نهلة وقالت:
- طب عايز ايه ياصوابع رجلي
- هاتي سكينة ومقص عشان افك الجبس
- لا هنروح نفكه عند الدكتور

رفع هواري أحد حاجبيه وقال:
- بقى انا هواري عم المنطقة اروح افك الجبس عند دكتور!! وكمان اخد امي معايا روحي يا اما قطعي البصل روحي

اتجهت نهلة إلى المطبخ وقالت:
- بتستعر من امك يا روح امك
- وانا اقدر ده انتي الحتة الشمال والنعمة

جاءت أعطته المقص والسكينة وقالت:
- امسك يا فالح ورينا عم المنطقة

أخذهم هواري وظل يحاول حتى فك جميعها ونهض ببطء وفرد ذراعيه واستنشق الهواء، وهو يقول:
- اخيرا ده انا حاسس ان جالي شلل رعاش من القاعدة

قالت نهلة محذرة:
- شوف مش هتنزل الشارع يومين لحد ما ايدك ورجلك يرجعوا لطبيعتهم .. ده كلام الدكتور

أعطاها هواري المقص والسكينة وقال:
- هو الدكتور ده كلامه قرآن يعني وبعدين ما تقلقيش ابنك خفاش

قالت نهلة مداعبة:
- الخفاش ده وقع من علي السقالة كان هيروح فيها وقعد شهر وشوية في الجبس

- وبعدين بقى هنقضيها قصف جبهات ولا ايه؟! واستطرد :

- هروح اخطب الاسبوع ده جهزي نفسك بقى

قالت نهلة:
- مش لما اروح اكلم أم سمر الأول

- طب قومي البسي وروحي كلميها بقى

- بكرة ما تسربعنيش

قبل جبينها وقال:
- لا النهاردة وحياتي عندك

ابتسمت نهلة وقالت:
- ماشي يا مثبتني هروح لهم بعد ما اصلي المغرب

*****

بعد محاولات حازم المضنية لإقناع وزارة الصحة لتبني الاختراع وتصنيعه، ظلت المهاترات العلمية دائرة، وحاول حازم بكل ما أوتي من قوة إقناعهم بأن المرض استفحل في العصر، وأنه يريد أن يفيد بلده ولكن كل ذلك دون جدوى، فنشرت قصته وانهالت عليه عروض أمريكية وأوروبية لتبني العقار من كبرى شركات الأدوية هناك، ودرس جميع العروض حتى استقر على عرض سويسري لشركة أدوية عالمية، وجد العرض مناسبا وسافر إلى سويسرا في مدينة بازل لتحقيق حلمه في أن يقضي على السرطان وتنفيذ وعده لميرنا.

*****

جلس أحمد جوار رحمة في المكتبة وقال:
- يعني هتفضلي زعلانة كده

أشاحت رحمة وجهها عنه وقالت:
- اه ومالكش دعوة بيا بقى ممكن
- طب يا رب اموت لو ما بطلتيش زعل

نظرت له رحمة وقالت:
- بعد الشر إياك تقول كده تاني

نظر أحمد في عينيها وقال:

- طب خلاص بقى والله مش هعلي صوتي عليكِ تاني

نظرت رحمة إلى الأرض وصمتت

قال أحمد:
- قولتلك والله كنت متضايق عشان الحمامة اللي ماتت كنت بحبها اوي والله

قلبت رحمة شفتيها وقالت:
- كنت بتحبها !

- اه

- وكمان بتقولها في وشي

- يا بنتي هو انا بقولك بنت الجيران دي حمامة

- مادام فيها تاء تأنيث يبقي هغير جيب واحد حمام غيرها بقى

ضحك أحمد وقال:
- واحد حمام! والله انا اتأكدت دلوقتي اني بجد حبيت واحدة عبيطة وبعدين اصلا اسمه فرد حمام وهجيب ازاي دكر للدكر يعني انت مدركة اللي انت بتقوليه ده انت عارفة انت كده بتشجعي على ايه ؟

- على ايه

- على الرزيلة طبعا ... افرضي فرد منهم حب يشوف موقفه من الجيش

- خلاص يا عم الروش

جاء حسين صفق بيده وقال:
- معلش هقطع عليكم الحوار الجميل ده. واستطرد موجها حديثه لأحمد :
- يلا ياحاج عشان نفضي المخزن

قالت رحمة موجهة حديثها لأحمد:
- كمل معاه بقى الحوار الجميل. واستطردت : عزيه يا حسين عشان عنده فردة حمامة ماتت كان بيحبها اوي

قال حسين باستغراب:
- فردة حمامة! انا مش فاهم حاجة.

نهض أحمد وأحاط رقبة حسين بذراعه وقال:
- تعالى انا هفهمك الحوار الجميل.

*****

الو ايوه يا حازم عامل ايه وحشتني اوي يا حبيبي

قالتها صفاء أثناء مهاتفتها لحازم

قال حازم:

- الحمد لله يا ماما تمام انتوا كلكوا عاملين ايه بابا وهدير ورحمة كويسين
- كلهم كويسين ويسلموا عليك انت عامل ايه في الغربة لوحدك بتاكل كويس وتنام كويس

كانت هدير جوارها، حاولت أن تجذب منها الهاتف وهي تقول:
- ادينى بقى اكلمه

قال حازم:
- الحمد لله استقريت النهاردة في شقة كويسة تبع شركة الأدوية

- الحمد لله ابقى طمني عليك كل يوم وقولي الجديد اول بأول عن تصنيع العقار

- حاضر

جذبت هدير الهاتف وقالت:
- ايوه يا حازم عامل ايه

- الحمد لله يا هدير انتِ اخبارك ايه

- الحمد لله تمام وكلنا تمام مش ناقصنا إلا وجودك

- رحمة جت ولا لسه في الشغل

- لسه في الشغل

- ابقي سلميلي عليها وعلى بابا

- حاضر

- خدوا بالكم من نفسكم
- حاضر إن شاء الله
- يلا مع السلامة

- مع السلامة

لكزتها صفاء في كتفها وقالت:
- بتقفلي ليه ملحقتش اكلمه

أمسكت هدير كتفها وقالت:
- هو قال مع السلامة اقوله لا ما تقفلش وبعدين دي مكالمة دولي مش عرض مجاني هو
- طب قومي بقي ذاكري او اعملي معايا الأكل عشان رحمة زمانها جاية

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد ورحمة من المكتبة، قال أحمد:
- حددنا خطوبة ريم الجمعة الجاية ان شاء الله عقبالنا

قالت رحمة:
- يااارب واستطردت ربنا يتمملهم على خير

- يارب

- والجواز هيبقى بعد قد ايه بقى
- سنتين اكون دخلتلها جمعية اقبضها وادفعهم مقدمة واجبلها كل اللي هي عايزاه قسط

- ربنا يقدرك وتجبلها احسن حاجة

قال أحمد:
- يا رب. واستطرد في حزن :

- انا خايف اوي يا رحمة

قالت رحمة باستغراب:
- خايف من ايه!!
- خايف اظلمك معايا انا مش ضامن ظروفي وخايف تزهقي مني وما تستنينيش.

قالت رحمة:
- انا عمري ماهزهق انا قولتلك عندي استعداد استناك العمر كله شيل الأفكار دي من دماغك

- بس انا خايف كده أكون بظلمك
- لا مش بتظلمني انت قولتلي ظروفك من اول وانا راضية بيها ما لكش انت دعوة روح هات التذاكر بقى.

جلب التذاكر وعاد إليها ووقفا على الرصيف ينتظران قدوم المترو.

*****

انطلقت الزغاريد وعلت أصوات الغناء الشعبية مساء يوم الجمعة من منزل أحمد، فاليوم موعد خطبة ريم وهواري كان حفلا بسيطا، جمع الأهلين والجيران كان الكل سعيدا ويبارك للعروسين، وبعد انتهاء الحفل غادر الجميع عدا هواري وسمر وأولادها، جلس هواري جوار ريم ووضعت لهم سمر طعام العشاء في حجرة استقبال الضيوف وجلس أحمد معهم

تناول الطعام الثلاثة وجلسوا يتجاذبون أطراف الحديث فقال هواري:
- منور يا ابو نسب والله

قال أحمد مداعبا:
- عرفت اني منور والله دي تالت مرة تقولهالي ريح نفسك مش هقوم

ضحكت ريم وقال هواري:
- أشكو إليك

نهض أحمد ورفع أحد حاجبيه وقال:
- دلوقتي أشكو إليك شوية شوية وهلاقيك بتتحسبن في وشي انا خمس دقايق او

اقل هدخل اعمل كوباية شاي واجي عشان محدش بيعرف يظبطها غير ريم اصلها الصبي بتاعي هنا بدل سمير بس النهاردة فريه عشان عروسة.

قال هواري:
- طب اعملي معاك كوباية ياسطى

اتجه أحمد نحو الباب وقال:
- ولا اعرفك خمس دقايق بالظبط وجاي

خرج أحمد فقال هواري:
- يا ساتر على اخوك ده لزقة انجليزي

قالت ريم بخجل:
- ما تقولش عليه كده
- مش هجيب سيرته اصلا هو الشوية اللي هيمشي فيهم كمان هنتكلم عنه لا ده كده كتير

- عندك اعتراض مثلا

- لا طبعا وبعدين بصيلي وانا بكلمك

- انا اصلا مخصماك ومش بكلمك

قطب هواري جبينه وقال:
- ده الكلام اللي بيتقال بجد بقى

قالت ريم باستغراب:
- هو ايه ده اللي بجد!

- انكوا صنف نكدي وكده

- لا والله

- اه والله طب انا عملت ايه بقى عشان تخاصميني واحنا لسه بنقول يا هادي
- ايوه استهبل واعمل نفسك مش عارف بقى
- وحياة عيونك الحلوة دي اللي ما عرفش هما حقيقيين ولا لنسيز انا معرفش انت

بتتكلمي عن ايه
- انت اهبل يالا؟!
- مش متأكد
- نعم! ازاي يعني
- يعني ساعات امي في البيت بتقولي يا اهبل وساعات يا زفت وساعات يا حمادة فمش عارف
قالت ريم متصنعة السخرية:
- حمادة!! وانت ازاي تخبي عني حاجة زي كده .. ابوك ليه ماعرفناش في الاتفاقات انك أهبل وانك اسمك حمادة
- انت طلعت غلسة على فكرة انا كنت فاكرك رقيقة وابوكِ واخوكِ هما كمان ماجبوش سيرة الغلاسة في الاتفاقات
- خلاص كده خالصين انت طلعت اهبل وانا طلعت غلسة
- اشطة جدا ممكن تقولي بقى زعلانة ليه!
- عشان الشيشة اللي بتشربها

دخل أحمد ممسك بيده كوب الشاي وقال:
- اتأخرت

قال هواري:
- وحياة امك

نظرت ريم باندهاش إلى هواري فقال لها:
- ايه! صاحبي

*****

مبروك يا هواري مرتين المرة الأولى على الشفا والمرة التانية على الخطوبة

قالها سمير وهو يضع مشروبات الثلاثة على الطاولة

ابتسم هواري وقال:
- الله يبارك فيك يا سمير عقبالك. واستطرد :لما تخطب مش تتكسر وتفك الجبس يعني ، ضحك سمير وقال:
- يارب وتركهم.

أكمل أحمد بقية حديثه وقال موجها حديثه إلى هواري:
- شوفلك حل معاه يا عم انا جبت اخري في إقناعه وافتكرته نسي لقيته بيقولي النهاردة انه هيسافر الأسبوع الجاي.

قال هواري موجها حديثه إلى عبدالله:
- احمد معاه حق في كل حاجة هتروح تتذل هناك اوسخ من هنا وهتغسل اطباق وتمسح عربيات ده اذا وصلت اصلا دي مخاطرة كبيرة لحياتك واحنا مش هنسيبك ترمي نفسك كده

قال عبدالله:
- يا جدعان ما تحاولوش، السفر الأسبوع الجاي خلاص انا بعت حلق بسمة واتصرفت في شوية حاجات كده وكله تمام انا بس كنت مستني لما انت تخف وتخطب وبعدين اسافر وهسافر ورزقي على الله واللي مكتوب له حاجة هيشوفها

قال أحمد:
- طب اقعد يا عبدالله عشان خاطرنا هو احنا مش هنوحشك ولا حتى بسمة لو مش هنوحشك انت هتوحشنا يا اخي قاعدتنا ما بتكملش إلا بلمتنا كلنا.

قال عبدالله:
- والله انتوا اكتر ناس هتوحشوني .. وبسمة دي اكتر حاجة شايل همها ولسه بحاول اقنع فيها لحد دلوقتي بس انا خلاص بجد تعبت وجبت اخري وطالما هنا بهدلة وهناك بهدلة يبقى بهدلة اليورو احسن ولا ايه؟
قال الأخيرة وهو يضغط بإبهامه على سبابته

صمت هواري وأحمد ولم يجيباه فقال عبدالله:
- هنبقى مع بعض فيس وواتس على طول اشطة

نظر له الاثنان وظلا في صمتهم

تلك الخطوة التي عزم عليها تؤرقهم حاول الاثنان بكل ما أوتيا من قوة أن يرجعاه عنها ولم ينجحا، كان عبدالله مصمما على رأيه فقد أرهقه كل شيء وصور له سمسار الهجرة غير الشرعية أن الغرب جنة سيجد فيها ضالته، لذلك فشلت كل محاولاتهم في إقناعه في البقاء معهم

*****

كانت الساعة الثامنة والنصف صباحا قبل بدء العمل الحقيقي في المكتبة، كانت رحمة تضع كراسات على الرفوف، وأحمد جوارها يساعدها، فقد كان ذلك عمل رحمة وهو عليه أشياء أخرى، لكنه كان يساعدها أولا ويفعل ما عليه بعد مساعدتها
فقالت رحمة وهي منشغلة بما في يدها:
- انا امبارح جاتلي فكرة حلوة اوي

استمر أحمد فيما يعمل وقال:
- اكيد حلوة مش فكرتك؟!! واستطرد : قولي ايه هي بقى ؟
- انت تخنسر من مرتبك ٢٥٠ جنيه كل شهر وانا ٢٥٠ ونحوشهم هيبقى ٥٠٠ جنيه في الشهر يعني ٦٠٠٠ في السنة وفي السنتين ١٢٠٠٠ تجيب بيهم دبلة بس مش عايزه اكتر من كده واوضة النوم والانترية حاجات بسيطة كده ومش مهم السفرة والنيش.. كده كده النيش ملوش لازمه ونأجر شقة ونعيش على قدنا ايه رأيك ؟

توقف أحمد عن عمله ونظر لها وقال بهدوء:
- تعرفي تسكتي يارحمة

نظرت له رحمة وقالت:
- على فكرة انا بقول كده عشان احنا واحد ومفيش فرق بينا عشان خاطري توافق.

انفعل أحمد وقال:
- رحمة لو مش عايزه تستنيني اعتبري ما قولتلكيش اي حاجة وده حقك على فكرة مش هزعل يعني

قالت رحمة بحزن:
- مش هتزعل! واستطردت : علي فكرة انا مش بقولك كده عشان مش عايزه استناك انت عارف وجهة نظري في الحتة دي انا كنت عايزه نساعد بعض بس طالما عامل فرق بينا يبقى فعلا مش هتزعل
قالت ذلك وتركته وجلست على مقعد بعيد عنه، حتى ذهب إليها أحمد جلس على الأرض قبالتها نصف جلسة ثانيا ركبتيه ونظر لها وقال:
- انا آسف

قال تلك الكلمة وانهمرت دموعها الحبيسة.

تضايق أحمد وزم شفتيه وقال:
- والله ماكنت اقصد ازعلك انا مش عارف انا قولت كده ازاي انا عارف انك قصدك تساعديني بس انا ما قبلش كده خالص الكلام جرحني والله حسسني اني ضعيف اوي وانا ما بحبش كده

ازدادت دموع رحمة فقال أحمد بضيق:
- يووووه رحمة والله انا مستاهلش دموعك دي

قالت رحمة دامعة:
- خلاص انا اسفة مكنتش اعرف انك هتزعل اوي كده

- طب خلاص عشان خاطري اسكتي بقى.

مسحت رحمة عبراتها بأطراف أصابعها، فنهض أحمد وجلس جوارها وقال:
- رحمة انا بحبك اوي و مقدرش اتخيل حياتي من غيرك وجودك مهون عليا حاجات كتير عشان خاطري استحمليني

ابتسمت رحمة وهي تنهي شهقاتها وقالت:
- وانا كمان أول جملتين قولتهم

صمت أحمد يعيد في ذهنه ما قاله فقال:
- وانت كمان رحمة انا بحبك اوي ومقدرش اتخيل حياتي من غيرك

ضحكت رحمة وهي تمسح عبراتها وقالت:
- بطل رخامة. واستطردت :وبعدين انت كمان استحملني مش كل ما اقولك حاجة تخدها على صدرك اوي كده
- حاضر هبقى اوطي واتفادها خالص

ضحكت رحمة وقالت:
- هو انا بحدف طوب يعني ولا ايه

نظر لها أحمد وقال:
- بصي انت تحدفي اللي انتي عايزاه انا استاهل اصلا عشان زعلت قمر زي كده

*****

انا جاي عندكم النهاردة

:قالها هواري وهو يتحدث إلى ريم في الهاتف فقالت ريم

- احمد عارف؟

- لا لسه هبقى اتصل اقوله وهو في الشغل.

- ماشي

فقال هواري ممازحا:
- وهجيب له معايا منوم وانا جاي وانت تحطيهوله في الشاي زي الأفلام القديمة عشان نخلص منه.

ضحكت ريم وقالت بسخرية:
- ما تجيب له سم احسن

- لا مش للدرجة دى ابو حميد حبيبي برضه

- لا يا راجل

- وحياة الراجل

قالت ريم ملمحة لأمر ما:
- اخبار الشيشة ايه؟

- بتسلم عليكِ وبتقولك هسيب هواري بس واحدة واحدة

- مطيعة اوي الشيشة

:قال هواري

- اوي. واستطرد : عشان خاطر عيونك بس

- اما نشوف اخرتها

- اخرتها خير ان شاء الله بس اوعدك اني هحاول جاهدا ابطلها بس بعد الجواز بشهر كده ولا حاجة.

قالت ريم باستغراب:
- اشمعنا بعد شهر من الجواز يعني!
- عشان نفسي لما نتجوز انادي عليكِ اقول بت ياريم تعالي رصيلي الحجر تقولي انت حاضر ياسيدي وتيجي جري وانت مشمرة ترصيلي حجرين وتظبوطيهم وانا انفخ الدخان في وشك وابقى مستمتع لازم اجرب الاحساس ده وبعدين ابطلها

ضحكت ريم وقالت:
- شوف ازاااي
- اه صدقيني مهما احاول ابطلها مش بقدر وبفشل لازم اجرب الاحساس ده وبعدين ابطلها
- انا هخليك تجرب احساس احسن من ده بكتير

قال هواري بفرحة:
- ايوه بقى يامعلم. واستطرد بشغف:

- ايه هو الاحساس ده بقى

- احساس الشيشة وهي بتتكسر على دماغك

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد وخلفه رحمة كان اليوم آخر الشهر وقبض الاثنان مرتبهم فقالت رحمة:
- الشتا داخله وانا محتاجة جاكيت هنزل وسط البلد اجيب واحد قبل الفلوس ما تتصرف

قال أحمد:
- ماشي ننزل

قالت رحمة بفرحة:
- يعني هتنزل معايا

- عندك مانع

- لا طبعا

دق هاتف أحمد فأخرجه من جيبه وقال:
- ده هواري
فتح المكالمة فأتاه صوت هواري يقول:
- ابو نسب

قال أحمد مداعبا:
- تصدق بالله انا كرهت النسب اللي بينا بسبب الكلمة دي

ضحك هواري وقال:
- حبيبي يا ابو كمال

- عامل ايه

- الحمد لله فل. واستطرد :انا جاي عند اختك النهاردة

قال أحمد:
- وله احترم نفسك والا هسمعك صوت القطر
- حاضر ياسطى نسيبي وتأدبني براحتك

ضحك أحمد وقال:
- انا هنزل وسط البلد شوية كده وهبقي في البيت اخري علي ٧ او ٧ونص كده

- ماشي هاجي علي ٨ كده وهبقى ارن قبلها برضه

- اشطة

- اشطات يلا سلام يا بو نسب

ضحك أحمد وقال:
- سلام

كانا قد نزلا محطة المترو جلب أحمد التذكرتين ووقفا في انتظار قدوم المترو حتى جاء وصعد الاثنان العربة التي استقرت أمامهم.

*****

كان حازم في مدينة بازل السويسرية في اجتماع مع مدير شركة الأدوية ونخبة من

العلماء والأطباء والصحافيين والإعلاميين يشرح لهم وهو مبتسم وسعيد بذلك النجاح، كيف يعالج المريض بذلك العقار وما مراحل أخذ العقار وهكذا،، وأن العقار ليس له أي آثار جانبية كالكيماوي والإشعاع وأنه قام بتجربته على حيوانات أولا وظلوا يسألونه وهو يجيب، وكانت إضاءة آلات تصوير الصحافة تملأ الغرفة.

*****

يا بنتي ده سادس محل تدخلي تفضلي تدوري وتقيسي وفي الآخر ما تشتريش انا زهقتلك

قالها أحمد لرحمة أثناء خروجهم من أحد المحلات فقالت رحمة:
- هو انت منزلتش مع ريم ومنار قبل كده وهما بيشتروا لبس
- لا

أومأت رحمة برأسها وضمت شفتيها وهي تقول:
- امممم عشاان كده معذور معذور

- ليه بقى؟
- عشان كل البنات كده مش عايزه اصدمك واقولك اني ممكن الف وسط البلد كلها وما تعجبنيش حاجة وما اشتريش واروح عادي

قال أحمد:
- لا يا شيخة
- اه والله. واستطردت :بص هفهمك انا الاول بلف واقيس ممكن حاجة تعجبني بس اقول يمكن الاقي احلى منها لحد ما حاجة ازعل اني مشيت وسيبتها يبقى دي مش هلاقي احسن منها وارجع اجيبها بسرعة

قال أحمد ساخرا:
- ده انتوا حالتكم صعبة اوي. واستطرد :طب استني هجيب حاجة واجي ده شكل السهرة هتبقى صباحي

ذهب وعاد إليها ممسكا باثنين مأكول مثلج وقال:
- بتحبي المانجة ولا الشيكولاتة

- الاتنين

- اشطة جاتلي فكرة حلوة ايه رأيك ناكلهم احنا الاتنين انا نص دي وانت نص دي ونبدل ؟

ابتسمت رحمة وأومأت برأسها إيجابا فأعطاها واحدة وأخذ الأخرى جاءت رحمة عند نصفها وقالت:
- امسك هات الشيكولاتة بقى

بدل الاثنان وأكلا موضع بعضهم وكل منهم ينظر للآخر فقال أحمد:
- عارفه .. ده احسن ايس كريم كلته في حياتي
قالت رحمة مبتسمة:
- وانا كمان

انتهيا من الأكل وقاما يكملان الشراء وجدت رحمة بائعة ذرة مشوية في جوار الطريق ابتاعت اثنين وأخذت واحدة وأعطت أحمد الأخرى وقالت:
- حلو اوي جو المراهقة ده

قال أحمد:
- انا اصلا هفضل طول عمري مراهق في حبك

ابتسمت رحمة وقالت بخجل:
- ايه الكلام الجامد ده يا عم
- ده اقل حاجة تتقال ليكي يا ريس

دق هاتف أحمد فأخرجه وجد هواري المتصل فقال:
- يااه هي الساعة ٨جت

نظرت رحمة في ساعتها وقالت:
- جت من ربع ساعة
- يا نهار اسود ده زمانهم نسيوا يحطوا اكل للحمام وزمان هواري مستنيني

*****

نزل أحمد وهواري معا من منزل أحمد وجلس الاثنان على المقهى في انتظار عبدالله قال هواري:
- شكلك مبسوط مش عوايدك يعني انا ابتديت اقلق

وضع أحمد ذراعيه خلف رأسه ومال للوراء وقال:
- مبسوط جدا جدا جدا
- وده من ايه بقي

قال أحمد:
- ماكنتش متخيل اني هحب حد كده او الحب جميل كده رحمة دي رحمة من ربنا ليا فعلا مستحملاني بكل ظروفي وبتحبني وعندها استعداد تستناني طول حياتها عادي والله تقريبا البنات اللي من النوع القنوع اوي المسالم ده اللي بيحبوا بضمير خلصوا
- لا حاااسب حبيبتي فيها كل ده وموجودة عادي

قلب أحمد شفتيه وقال:
- حبيبتك!

ضحك هواري وقال:
- بص يا عم عشان نعرف نتعامل مع بعض في بيتكم انت نسيبي وريم اختك .. على القهوة انت صاحبي وريم خطيبتي اشطة

جاء عبدالله من الخلف وقال:
- اشطات جدا أنا موافق

وجذب مقعدا وجلس وضحك وهو يضرب بكفه على كف هواري فقال أحمد:
- روشين انتو كده يعني ولا ايه؟

واستطرد موجها حديثه إلى هواري:
- ولا متخلنيش افسخ الخطوبة وارميلك دبلتك في وشك

قال هواري:
- خلاص اسف يا ابو نسب.

قال أحمد:
- وكلمة ابو نسب دي كمان تنساها خالص.

قال ذلك وضحك الثلاثة.

فقال عبدالله:

- اشارة الجو جت وبكرة الساعة واحدة هنتحرك بمركب صغير من بوغازي الدخيلة في اسكندرية لحد بورسعيد وبعدين هنركب سفينة من هناك

قال أحمد:
- كان نفسي ما تسافرش بس مادام رغبتك اوي كده ربنا يوفقك يا صاحبي ويسترها عليك ويرزقك من وسع

قال هواري:
- وهو كذلك نفس اللي احمد قاله

واستطرد موجها حديثه إلى أحمد:
- عبدالله اول ما يروح يالا ويشوف البنات بالهوت شورت هيغم عليه ده كان بيريل لما يلاقي بنت لابسة ضيق

قال عبدالله:
- خف لذاذة امك دي عشان مخنوق اني هسيبكم وبعدين انا الحمدلله توبت وسيبت كل الرمم اللي اعرفهم وكتبت الاسم البديل على الفيس التائب إلى الله.

قال أحمد مداعبا:
- وخلي الاسم الاساسي بقى انا اصلا واد مؤمن

قال ذلك وضحك الثلاثة.

*****

انا عايزه اجيب طقمين بقي عشان محمد كل ما ييجي ببقى يا بالطقم الفيروزي او الكحلي نفس الطقمين اللي عندي.

قالت ذلك ريم بعد تناول الأسرة طعام العشاء

فقال أحمد:
- كل مرة بتقولي محمد عقلي بيعمل ريستارت وبعدين افتكر انه هواري. واستطرد قائلا :
- وبكام الطقمين دول بقى

قالت منار:

- وانا كمان عايزه جيبة

وقال ياسين:
- وانا كمان عايز اجيب حاجة اشمعنا هما

قال أحمد:
- اهي كملت

قالت عزيزة:
- ياولاد بالراحة على أخوكم. واستطردت:
- بص يا احمد جيب كل شهر لحد فيهم حاجة

قالت ريم متذكرة:
- طنط هدي اللي في اخر الشارع بتبيع لبس زي نظام القسط كده

قال أحمد:
- حلو اوي هديكي ٢٠٠ جنيه تدفعيهم مقدم وتجيبي طقمين ليكي وطقم لمنار وانا هبقى اخد ياسين اجيب له اللي هو عايزه

صفقت ريم ومنار وقالت ريم:
- يعيش ابو حميد

فقال كمال:
- ربنا يقدرك علينا يابني

قال أحمد:
- انت الخير والبركة يا بابا ربنا يخليلنا حسك في الدنيا دايما

دقائق ونهض أحمد واتجه إلى حجرته.

*****

جلس أحمد على سريره وأخرج مرتبه من جيب سرواله ليعطي ريم مئتي جنيه فكر كيف يدبر نفسه؟ فأخذ من المبلغ الذي يصرفه في الشهر مئة جنيه، وأخذ من مصروف البيت الذي يعطيه لأمه مئة جنيه أما مبلغ علاج أبيه فلا يقدر أن يأخذ منه مليما، جاء في ذهنه رحمة وأنها تريد معطفا، فابتسم وقام فتح الباب وقال:

- ريم تعالي خدي الفلوس

جاءت ريم فقال أحمد:
- ادخلي هقولك على حاجة

- قول

- طنطك هدي دي عندها جواكت حلوة

- لا ده محلها بناتي بس

- ما انا عارف يا ختي قصدي جواكت بناتي

قالت ريم:
- عايز تجبلي جاكت ولا ايه .. لا مش متعودة على الكرم المفرط ده

ضربها أحمد في كتفها وقال مداعبا:
- امشي يا بت اطلعي بره

- طب عايز جاكت بناتي ليه

- مالكيش دعوة جيبي جاكت حلو كده على ذوقك أي بنت تشوفه يعجبها

جلست ريم وقالت وهي تغمز بأحد عينيها:
- عايزه لييه بقى ياخلبوص يا مية من تحت تبن انت

- لزميلتي في الشغل ارتاحتي
رفعت ريم حاجبا وهي تقول:
- زميلتك بس

- مش ناقص لماضة هتجيبه ولا اجيبه انا

أخذت ريم المال من يده وقالت:
- هجيبه هجيبه

ونهضت لتغادر فأوقفها أحمد وقال:
- ريم مش عايز اي سياح بره وقال ما شوفتيش قالي اجيب جاكت لزميلته وباتري

جايبهولها ليه وعشان ايه وايه المناسبة وسهاري الحريم دي
- ماتقلقش يا فلانتينو

*****

على فكرة انا مجبتش الجاكت امبارح

قالتها رحمة أثناء خروجها مع أحمد من المكتبة بعد انتهاء العمل، فقال أحمد:
- النهاردة الخميس هيبقى زحمة
- لا النهاردة الاربع بكرة لسه الخميس

- خلاص بكرة نبقى نجيبه

- لا النهاردة عشان خاطري

- يا حبيبتي خليها بكرة رجلي وجعاني النهاردة مش هقدر الف

ابتسمت رحمة وقالت:
- انت قولت ايه!

- قولت رجلي وجعاني ومش هقدر الف

- لا في الاول

ابتسم أحمد وقال:
- يا حبيبتي

*****

جلبت ريم الملابس ووضعت المعطف في حجرة أحمد دون علم أحد بالبيت، وجلست تهاتف هواري

ألغى هواري المكالمة واتصل معها، وقال:
- ايه يا حبيبتي عاملة ايه ؟

ابتسمت ريم وقالت:
- الحمد لله تمام وانت

- الحمد لله

قالت ريم بقلق:
- مال صوتك مش طبيعي

- مفيش عبدالله هيسافر الفجر وانا مش مطمن

- يا بني عادي هو بس عشان هيبعد عنكم وكده

- ربنا يستر

- يا رب

*****

صعد أحمد فوق البيت يضع حبوب القمح للحمام وتفقدهم ومسك حمامة مفضلة له يطلق عليها رومة نسبة لاسم رحمة لبث في العشة معهم بعض من الوقت كان قلقا هو الآخر على صديقه عبدالله وحزينا لفراقه عنهم أكثر من عام نفض تلك الأفكار التي تضايقه من رأسه ثم نزل دلف الشقة واتجه إلى حجرته فنادت عليه ريم وذهبت إليه وقالت بصوت خفيض:
- الجاكت في الدولاب جامد جدا هيعجبها يعني هيعجبها

قال أحمد:
- تمام تسلمي يا جميل

دلف أحمد حجرته فتح الدولاب ومسك المعطف وظل ينظر له، وجد ذوقه رفيعا وسيعجبها، ابتسم بفرحة واستلقى على سريره ثم تذكر أمرا، فقام واتصل على هواري، فتح هواري المكالمة فقال أحمد:
- ايوه يا بني انزل نروح لعبدالله نقعد معاه لحد ما نوصله زمانه ابوه واخواته شبعه منه احنا كمان لينا حق عليه

قال هواري:
- كنت لسه هتصل اقولك كده. واستطرد : اشطة نازلك

*****

بعد ثلاث ساعات قضاهم عبدالله مع صديقيه أحمد وهواري دلف حجرته وأخذ الحقيبة التي فيها جميع أغراضه وسلم على شقيقه الصغير عمر وأبيه وتوأمه بسمة وعانقهم جميعا وقال:
- هتوحشوني اوي

قالت بسمة:
- متغيبش علينا يا عبدالله

عانقها ثانيا ومسح على شعرها وقال:
- مش هغيب اكتر من سنة ان شاء الله وهرجع اجبلك كل اللي انت عايزاه

قال أبوه:
- ربنا يسترها معاك ويرزقك من وسع يا بني

قال عبدالله:
- يا رب

وقبل يده

جاءه صوت هواري من الخارج:
- يالا ياعبدالله عشان ما بحبش لحظات الوداع ولسه دوري انا واحمد

ضحك عبدالله وقال:
- جاي اهو يا بني. واستطرد موجها حديثه لأبيه :
- خلي بالك من بسمة يا بابا وما تزعلهاش وانا مش هغيب عليكوا واول ما اوصل إن شاء الله واستقر هشتري خط واكلمكوا.

عانقه أبوه ثانية وربت على ظهره وقال:
- خلي بالك من نفسك

قال عبدالله:
- إن شاء الله. واستطرد قائلا :
- يالا يا عمر

وخرج وجواره عمر أخوه، وخرجت بسمة خلفه عانقته وبكت قال عبدالله:

- يا بنتي سنة وهرجع والايام بتفوت جري خلي بالك من نفسك هبقى اكلمك في الموبايل على طول وعلى الواتس ثم قال بإطراء:
- عارفة اكتر حاجة هتوحشني اكلك اللي مايتاكلش وشايك اللي مايتشربش

ضحكت بسمة وسط بكائها فمسح عبدالله دموعها: وقال:
- اسكتي بقى عشان اعرف امشي

فتأثر هواري وأحمد فقال أحمد:
- بسمة ان احتاجتي اي حاجة انا وهواري زي عبدالله بالظبط تعالي قوليلنا وما تتكسفيش وريم ومنار معاكِ في اي وقت. واستطرد موجها حديثه إلى عبدالله:
- صح يا عبدالله ؟

قال عبدالله:
- طبعا متتكسفيش منهم اي حاجة تحتاجيها قوليلهم ومعاكِ عمر وبابا مش هيخلوكي تحتاجي حاجة

اومأت بسمة برأسها.

ونزل الثلاثة ومعهم عمر شقيق عبدالله كان في الصف الثالث الإعدادي.

*****

ذهبوا جميعا إلى بوغازي الدخيلة ترجلوا من الحافلة في العنوان المتفق عليه كانت المنطقة شبه مقطوعة وقف عبدالله وقال:
- هتوحشوني اوي

ووجه حديثه إلى أحمد وأمسك رأسه بين راحتيه وقال:
- هتوحشني يا كئيب، وتعانقا كثيرا، قال أحمد:
- والله انت اللي هتوحشني اوي اول ما توصل ان شاء الله تكلمنا على طول

قال عبدالله:
- إن شاء الله.

قال ذلك ونظر إلى هواري ففتح هواري ذراعيه وعانقه دون أن ينطق وظلا متعانقين كثيرا

وأخيرا عانق عمر مرة أخيرة وقال:
- مش هوصيكم على عمر.

قال أحمد والدموع تتلألأ في عينيه:
- عمر وبسمة وابوك في عنينا اطمن أهم حاجة خلي بالك من نفسك بالله عليك تخلي بالك من نفسك.

قال هواري بإطراء والدموع في عينيه هو الآخر:
- اوعى تضيع شقاك على المزز ياض

ابتسم عبدالله وقال:
- احلفلك على المصحف اني توبت

نادى عليه رب القارب وقال:
- يالا يا عبدالله ما فاضلش غيرك

ودعوه جميعا وقال بعد ما استقل القارب:
- اول ما اوصل هكلمكوا

قال هواري:
- مستنيينك
ظل عبدالله ناظرا لهم رغم الظلام الذي يحيطهم إلا أنهم كانوا يرون ابتسامته الواهنة، يودعهم ويودع وطنه.

لا أعرف إن كان وطنه حقا أم لا ؟ فالوطن لا يجبر ابناءه على الرحيل، الوطن هو الذي نشعر فيه بالأمان لا نجوع فيه ولا نعرى لا نظمأ فيه ولا نضحي، ما دون ذلك فهو اغتراب.

ظل أحمد وهواري وعمر واقفين ينظرون له حتى اختفى القارب المحمل بعشرات الشباب من الرؤية.

*****

استقل أحمد وهواري وعمر سيارة ترجعهم إلى القاهرة، ظل الثلاثة طوال الطريق صامتين لا يتحدث أحد إلى أحد حتى تظاهر كل منهم بالنوم، وهو يفكر في أمر

عبدالله والقلق يسيطر عليهم جميعا.

وصلوا القاهرة كانت الساعة السابعة صباحا

صعد أحمد إلى منزله أخذ المعطف وذهب إلى المكتبة.

*****

عاملة ايه؟

قالها حسين عندما دلف المكتبة وجلس قبالة رحمة.

فقالت رحمة:
- الحمد لله انت اخبارك ايه؟

- الحمد لله

- ماعندكش اي جديد عايز تحكيهولي

- لو حب وكده يبقى لا

- ايه لهجة اليأس دي؟
- يأس ايه عادي..عايزاني احب تاني واللي احبها تتخطب .. مني تاني واحدة احبها وتتخطب. واستطرد بضحكة مريرة:

- مش انا عارف انا وشي حلو عليهم ولا انا اللي نحس ولا ايه؟

ضحكت رحمة وقالت مداعبة:
- طب ما تجرب تحبني كده عشان اتخطب انا وأحمد والله هدعيلك دُعا

ضحك حسين وقال:
- لا خلينا صحاب احسن

ضحكت رحمة وقالت بجدية:
- بس منى اتخطبت عشان انت مقولتلهاش حاجة وهي ماينفعش تستنى عشان حاجة هي مش متأكدة منها عندي احساس كبير انك لو كنت قولتلها كانت استنتك

- ماكنش ينفع اقولها

- خلاص يبقى تحب غيرها وتقولها
- لا انا اصلا لسه بحب منى ومش هحط حب ولا غيره تاني في دماغي دلوقتي لما ابقى قد الحب هبقى احب.

وغير دفة الحديث وقال:
- مألفتيش اي حاجه من الحاجات اللي بتصدعيني بيهم دول؟

قالت رحمة مفتعلة الغضب:
- بصدعك بيهم!.. تصدق انت ما عندكش احساس ومش قايلالك حاجة تاني وكنت كاتبة حاجة تليق على حالتك دي بس مش قايلهالك ها

قال حسين:
- آسف يا ستي قوليلي مقطوعة شعرية من اشعارك الجميلة.
- لا مش هقول غير لما تقول اتحفيني يا رحمة

قال حسين ساخرا:
- اتحفيني!! ما علينا اتحفيني يا رحمة

دلف أحمد في تلك اللحظة وألقى عليهم التحية نهضت رحمة وتقدمت إلى أحمد وقالت:
- اتأخرت ليه؟

قال أحمد:
- كنت بوصل عبدالله وجيت من اسكندرية طلعت على البيت جبت ده

وأشار على الكيس الذي في يده وأكمل قائلا:
- وجيت علي هنا

قالت رحمة:
- ايه ده؟! واستطردت :يعني انت مانمتش من امبارح؟
- اه وامسكي شوفي

أمسكت رحمة الكيس وفتحته وجدته معطفا جميلا ، فقالت:
- لمين ده؟!!

نظر لها أحمد وقال ساخرا:
- لأستاذ مجدي. واستطرد : ليكي يا بنتي هيكون لمين ايه رأيك فيه؟!

ابتسمت رحمة بفرحة وقالت:
- حلو اووووي. واستطردت: بس ده غالي جبته ليه ما انا كنت هجيب

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- وانا وانتي ايه مش واحد مش دي كلمتك؟

ابتسمت رحمة وقالت:
- ربنا يخليك ليا يا احمد

قال أحمد مبتسما:
- ويخليكي ليا يا رب. واستطرد : انا كنت خايف اوي ما يعجبكيش
- بص هو انا شايفاه حلو اوي اصلا بس حتى لو هو مش حلو .. ده لو يعني انا مش هعرف. واستطردت :انك انت اللي تبقى جاييه يبقى اكيد حلو من غير مناقشة

*****

في مكان آخر في عرض البحر كان عبدالله ومن معه يصارعون الموت، منهم من كان حيا، ومنهم من فارق الحياة، ومنهم من يلفظ أنفاسه الأخيرة، فقد اشتدت الرياح وعلت الأمواج العاتية وقلبت القارب، قبل أن يصلوا إلى بورسعيد كان عبدالله قد أجهد من كثرة التجديف بيديه وأيقن أن لا مفر من الموت، فإن نجي من الأمواج وظل عائما لن ينجو من الشمس الحارقة التي تحيطهم من جميع الجوانب، ظل ينطق الشهادتين ويرددهم بصعوبة من كثرة الإرهاق، نظر جواره وجد شابا ممن كان معهم طفا جسده على سطح الماء مغمضا عينيه، فقد فارقت روحه الحياة، ونظر إلى آخر وجده تبتلعه الماء في أعماق البحر الأبيض المتوسط حاول أن يذهب إليه لم يستطع، وسمع صوت آخر تقلبه الأمواج يقول بصوت مبحوح :"يا رب"

ظل يقول هو الآخر "يا رب" ويناجي ربه أن يتوب عليه ويغفر له سيئاته وأن ينجيه ليعود إلى بلده وأهله وأصدقائه وألا يتركهم ثانية، ولكن شلت قدرته على الحركة تماما، فقد صمد يصارع الموت منذ سبعة ساعات مضوا حتى خارت قواه، فأغمض عينيه باستسلام، ونطق الشهادتين، وغاص في المياه وقضى الله أمرا كان مفعولا.

*****

قامت بسمة مفزوعة من النوم وذهبت إلى أبيها أيقظته، وقالت:
- كلم عبدالله يا بابا بسرعة شوفه فين انا حاسة انه مش كويس عماله احلم أحلام وحشة.

نهض أبوها وقال:
- خير ان شاء الله ده اكيد كوابيس من عقلك الباطن عشان انتِ خايفة عليه بس

- طب كلمه

- مفيش حاجه اكلمه عليها اول ما يوصل هيكلمنا ان شاء الله

*****

ايوه يا مصطفى المركب غرقت بالناس مفيش إلا حمدي وسبع شباب بس اللي عاشوا وفي جثث طلعوها وفي لسه، والدنيا مقلوبة اتصرف بسرعة عشان اكيد الحكومة بتحقق

قال ذلك حسام صديق مصطفى وسمسار معه للهجرة غير الشرعية قال مصطفى بانفعال:
- يا نهار اسود روحنا في داهية. واستطرد : طب ما تعرفش عبدالله اللي من منطقتي غرق ولا لا؟
- معرفش حاجه كل اللي عرفته ان المركب اتقلبت قبل ما يوصلوا بورسعيد وكله غرق معادا حمدي وسبعة تاني وغفر السواحل اللي طلعوهم
- ربنا يستر

*****

وقع الخبر على سيد والد عبدالله كالصاعقة وظل يردد:
- لا حول ولا قوة إلا بالله، سلم يا رب سلم يا رب يكون من العايشين يااارب

كانت الساعة الحادية عشرة صباحا
وكانت بسمة خارج البيت، قال سيد لعمر أن يذهب إلى بيت هواري وركض هو إلى بيت أخيه ليذهب معه إلى الميناء.

ركض عمر إلى بيت هواري، أثناء ركوضه سأله أحد الجيران ما به فقال له ما وصله عن عبدالله،و ما إن وصل إلى بيت هواري حتى انتشر الخبر في أرجاء المنطقة.
طرق الباب فتح له رامي شقيق هواري فقال عمر:
- هواري فين؟

قال رامي بقلق:
- جه من اسكندرية ونام ، هو في حاجة ياعمر؟
- المركب غرقت ومعرفش عبدالله عايش ولا

وثقل لسانه في هذه الكلمة وصمت قليلا فتفهم رامي الموقف، وأكمل عمر قائلا
- عايزين نروح المينا بسرعة.

قال ذلك وسقطت دموعه.

ركض رامي إلى حجرة هواري ونزع الغطاء من فوقه وقال:
- اصحى يا محمد بسرعة اصحى

حركه بأصابعه وقال بصوت عال:
- محمد

:فزع هواري وقال

- في ايه؟!

- عبدالله

ازدرد هواري ريقه وقال:
- ماله؟
- المركب غرقت بيه ومنعرفش اذا كان من العايشين ولا اللي غرقوا

نهض هواري سريعا وخرج إلى عمر وجده يبكي، حاول أ،يستفهم منه ما حدث فلم يعرف زيادة عما قاله له رامي.

تمالك هواري نفسه وقال موجها حديثه إلى عمر:
- ان شاء الله عايش..ان شاء الله عايش ما تقلقش

كان في الأصل بذلك الكلام يطمئن نفسه وليس عمر، حدثه يقول أنه غرق ولكن عقله يقول لا عبدالله مازال حيا.

ومسك هاتفه ودق على أحمد

*****

كان أحمد يحمل بضاعة إلى الداخل ورحمة كانت تبيع لأحد المشتريين فسمعت رنين هاتف أحمد فقالت للمشتري:
- لحظة واحدة

واتجهت إلى مكان هاتف أحمد وقالت بصوت عال:
- كلم يا احمد

وضع أحمد البضاعة على الأرض وقال:
- مين؟
- هواري

جاء أحمد وأخذ الهاتف فتح المكالمة وقال:
- ايه يا هواري

قال هواري بصوت حزين:
- انت فين؟!

- في المكتبة

- خليك في رمسيس اطلع على موقف اسكندرية وانا جيلك دلوقتي

قال أحمد بفزع:
- عبدالله ماله؟

- عبدالله كويس ما تقلقش احنا هنروح نجيبه

- ايه اللي حصل؟!!

- استناني بس عند الموقف انا جيلك

- طب بسرعة

وأغلق معه وهو مذهولا

قالت رحمة بقلق:
- مالك..ايه اللي حصل؟!
- عبدالله صاحبي مش عارف ايه اللي حصله هروح اشوف في ايه ابقي قولي لأستاذ مجدي.

قال ذلك وركض إلى الخارج

*****

تجمع أقارب وجيران عبدالله أمام العقار الذي فيه بيته فقال هواري:
- خليك يا عم سيد انا رايح انا واحمد وعمر وهنطمنك ان شاء الله خير

تدخل رمضان شقيق سيد وقال:
- لا احنا هنروح نطمن عليه بنفسنا

قال هواري موجها حديثه إلى سيد:
- ياعم سيد انا وعمر واحمد هنسد وجود الباقي مش هيفيد.

قال سيد بوهن:
- خلاص يا رمضان وظل يردد لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله هات العواقب سليمة يا رب .. سلم يا رب سلم
غادر عمر وهواري وجاءت بسمة تركض كان قد وصلها خبر غرق مركب أخيها، وجدت تجمعا أمام بيتهم وصوت همهمة بين الواقفين فقالت:
- بابا هو اللي انا سمعته ده بجد!
قالت إحدى جاراتها:
- مفيش حاجة يا بنتي اصحابه راحوا يجيبوه اطلعي دلوقتي
بكت بسمة وقالت:
- انا عايزه اروح له دلوقتي
لمحت عمر وهواري مغادرين الشارع فقالت بصوت عال:
- يا عمر يا عمر

سمعها عمر وهواري وألقيا عليها نظرة مليئة بالشفقة وأكملا سيرهم
وهمت أن تركض إليهما فلحقوا بها الجيران وأمسكوها، ظلت تصرخ قالت إحداهم:
- يا بنتي لسه معرفناش حاجة انت بتفولي عليه ليه
وقالت أخرى:
- إن شاء الله خير يا بنتي ما تعمليش كده
هدأت بسمة قليلا وصعدوا بها إلى الشقة
*****

ذهب هواري وعمر إلى رمسيس ووجدا أحمد في انتظارهم

استقلوا حافلة وذهبوا إلى العنوان الذي قاله عمر

نزلوا واتجهوا إلى الميناء كانت الساعة الرابعة والنصف عصرا وجدوا أهالي المهاجرين منتظرين في وجوم سماع أسماء الموتى ليعرفوا إن كان ذويهم أحياء أم أمواتا سأل أحمد أحد العساكر الواقفين وقال:
- احنا تبع مركب المهاجرين هما فين؟

قال العسكري بتأثر:
- كمان شويه هيعلنوا عن اسماء اللي اتعرفوا عليهم

قال أحمد:
- ماشي شكرا

ظلوا واقفين حتى جاء الليل واشتد برودته ولكن لم يعبئوا بها ظلوا يرددون سرا "إن يكن حيا" فكل دقيقة تمر عليهم تضغط على أعصابهم فقال أحمد لهواري:
- تعالى نروح نشوف بطانية لعمر

قال عمر:
- مش عايز حاجة انا عايز اخويا

قال ذلك وبكى فاحتضنه هواري وظل يطمئنه هو وأحمد، فذهب أحمد إلى أحد الصيادين وأخذ منه غطاء لعمر وعاد إلى عمر وهواري ووضعه على عمر وجلسوا الثلاثة حتى نام عمر وهو جالس موضعه ومطأطئ رأسه.

نادت مكبرات الصوت أن ينتبه الجميع، في تلك اللحظة وقف الجميع بانتباه بدأ إعلان الأسماء وضربات قلب أحمد وهواري كادت أن تقف من سرعتها، بعد إعلان كل اسم كانا يسمعون صراخا ويرون من تلطم وجهها ومن يجهش بالبكاء وبعد كل اسم يُنطق كان يقول أحمد وهواري "الحمدلله"

حتى سمعا "عبدالله سيد عبدالله"

تجمد أحمد وهواري ولم يسمعا أي شيء بعد ذلك الاسم، وقف أحمد في وجوم غير مصدق

فقال هواري بذهول:
- لا اكيد في حاجة غلط عبدالله ما متش اكيد اغم عليه بس وهيقوم اكيد ما متش.
ركض أحمد وخلفه هواري إلى الغرفة الكبيرة الموضوع بها الجثث، وتركا عمر نائما موضعه ، دخل الاثنان وبدأ هواري وأحمد في رفع الغطاء عن الجثث يبحثون عن عبدالله حتى وجدوه ووجهه وجسده مليء بالسحجات والكدمات.

قال أحمد في غير إدراك:
- قوم يا عبدالله ما توجعش قلبنا انت بتعملها فينا يعني زي هواري وبتردهاله صح؟

قال ذلك وابتسم بوهن ثم صمت قليلا واستطرد باكيا:
- فاكر هواري لما عملها فينا؟ ما تعملش زيه انا تعبان من كل حاجه ومش مستحمل قوم والنبي.

وقال هواري باكيا:
- عبدالله قوم عشان خاطرنا والنبي طب قوم عشان خاطر بسمة طيب انت ما تعرفش هي عامله ازاي هناك

جذب أحمد عبدالله وقال:
- قوم بقى يا عبدالله قوم معانا بالله عليك صمت قليلا وقال: طب ايه مش هتردا!! واستطرد طب لو مش قادر تتكلم حرك عينك بس عرفنا انك صاحي

قال هواري:
- يا عبدالله قوم بقى قلبنا وجعنا والله
ظل الاثنان صامتين في ذهول غير مستوعبين، حتى قال أحمد باكيا:

- عبدالله مات يا هواري فضلت اقوله ما تسافرش

فقال هواري وهو يبكي بحرقة:
- ما سمعتش كلامنا ليه يا عبدالله

وارتمى الاثنان على صدره وأجهشا بالبكاء

*****

وقف أحمد وهواري في أول الصوان يأخذون عزاء صديقهم ومازالا غير مدركين أنهم لن يروه ثانية
ربما كان حالهم أشد سوءا من أبيه وأخيه، ولكن بسمة من كانت مفجوعة مثلهم وأكثر، ظلت تصرخ وتبكي حتى فقدت الوعي، فأخذتها ريم ومنار عندهم، أمها ماتت منذ خمسة أعوام وكان عبدالله يعوضها فقدان أمها، كانا توأمين مرتبطين ببعض قبل أن يأتيا على الدنيا، هما معا منذ أن كانا في رحم أمهما وكان عبدالله أخا وصديقا لها، يعطيها ما تحتاجه، كان لا يبخل عليها بكل ما يملك من عاطفة ومال ووقت.

كانت تقوم من نومها كل حين تتذكر أخاها وجسده المشوه، تصرخ وتبكي حتى يهدئوها وتنام ثانية.

*****

كانت رحمة كلما رنت على هاتف أحمد وجدته مغلقا، فعرفت أنه حدثت له مصيبة كبرى، وكان غدا الجمعة فلن تعرف ما به غير يوم السبت إذا جاء، خرجت جلست جوار هدير رأتها تشاهد التلفاز ، فقالت رحمة:
- يعني بقيتي مش بتذاكري زي الاول كده كل مااجي الاقيكي قاعدة قدام التلفزيون او قدام النت
- كبري دماغك
- هو ايه اللي كبري دماغك؟!

قالت هدير بلا مبالاة:
- هذاكر ليه؟

- نعم!

- بقولك هذاكر ليه؟

- اكيد عشان تنجحي.

- وبعد ما أنجح

- مش فاهمة.
- بصي يا رحمة انت مخلصة السن وبتشتغلي في مكتبة عند واحد، وحازم قعد سبع سنين في طب وطلع عينه وعمل ماجستير واختراع واترفض عايزاني انا اقل كلية فيكوا اذاكر عشان انجح هعمل ايه بالنجاح؟

تفاجأت رحمة من كلام هدير وقالت:
- انا بشتغل في مكتبة ومبسوطة بالشغل ده جدا وشهادتي لنفسي، وحازم سافر بره يحقق حلمه ولحد دلوقتي ماشي تمام ذاكري عشان نفسك مش عشان حد وافتكري ان الله لا يضيع أجر من احسن عملا.

أغمضت هدير عينيها لحظة وقالت:
- معاكي حق انا مش عارفة ايه الإحباط اللي انا فيه ده؟ رحمة والنبي كل ماتلاقيني كده فوقيني.

*****

ذهب كل من أحمد وهواري إلى بيته صعد أحمد ولم يتحدث إلى أحد، دخل حجرته واستلقى على سريره يبكي، حتى سمع بسمة تصرخ في الخارج وتبكي بحرقة وتقول:
- جالك قلب تسافر وتسيبنا يا عبدالله.. حرقت قلبي يا عبدالله

سمع ذلك واشتد بكاءه.

*****

ظلت ريم وعزيزة ومنار يهدئونها ودموعهم تتساقط تأثرا لحال بسمة حتى هدأت بسمة وراحت في النوم، فدخلت ريم حجرتها مسحت دموعها وهاتفت هواري، وجدت هاتفه مغلقا، هي تعلم أن حاله كحال أخيها، فهم أصدقاء من الطفولة، وكان الثلاثة لا يفترقون أبدا، كانت تريد أن تخفف عنه ولكن وجدت هاتفه مغلقا،

تضايقت وظلت تكرر المحاولة ولكن دون جدوى في كل مرة تجده مغلقا.

*****

توالت الأيام وعادت طبيعية، لكن لم يعد أحمد وهواري وأهل عبدالله لطبيعتهم، فدوما كل من يرى الذي مات من بعيد يتأثر لحظتها فقط، أما الذي لا ينساه بقية عمره فهو الذي أكل معه وضحك معه وبكى معه وتألم معه سيظل يتذكره إن سمع اسمه وإن رأى ملابسه وإن حكى أحد عنه، سيتذكره وقت نجاحه ووقت إخفاقه، سيتذكره دون أي شيء، فقط يشتاق لدقيقة واحدة يراه فيها ليعانقه، ولن يراه إلا في صوره أو في أحلامه، حينها الفراق يصبح أكثر بشاعة لأن الحنين يلامس أرواحنا.

*****

ابتسم حازم وهو جالس أمام مكتبه وأمامه صحف ومجلات بعناوين مختلفة وخطوط عريضة جميعهم يتحدثون عنه، أحدهم يقول "حازم شاهين طبيب مصري يهزم السرطان" وأحدهم يقول "فرعون مصري يجعل السرطان كنزلة برد سهل الشفاء منه" وأحدهم يقول "أخيرا اختفى شبح السرطان" وأخر يقول "لا ،وداعا لك أيها السرطان اللعين"

سجد حازم يشكر ربه وبكى وهو ساجد فرحا لتحقيق حلمه الذي ابتدأه منذ سنوات، والآن تحقق وهزم السرطان وانتقم منه شر انتقام، فسيمحو عقاره السرطان من الوجود، قام وهاتف أمه على الفور في مصر.

*****

اقفلي يا بت التلفزيون بسرعة حازم بيتصل

قالتها صفاء لرحمة عندما رن الهاتف ووجدته حازم، فأغلقت رحمة التلفاز وفتحت صفاء المكالمة وقالت:
- الو ايوه ياحازم

قال حازم وهو سعيد:
- ايوه يا ماما باركيلي الدوا اتصنع واتفعل وخلاص بيسوقوه
- الف مبروك يا حبيبي يا ريتني بعرف ازغرط كنت زغرطت وبهدلت الدنيا ما تتصورش انا فرحانة ازاي وحشتني اوي

اتسعت ابتسامة رحمة وعلمت أن أخاها حقق مبتغاه بالتأكيد.

قال حازم:
- وانتوا كلكوا والله وحشتوني اوي يا ماما

أخذت رحمة الهاتف من يد صفاء وقالت: هاتي اباركله .واتجهت صفاء إلى شاهين وهدير تبلغهم ذلك الخبر السار ، وقالت رحمة:
- الف مبروووك ياحازم أخيرا

قال حازم:
- الله يبارك فيك يا رحمة اخوكِ هنا مكسر الدنيا مفيش مجلة ولا جريدة إلا وبتكلم عني.
- طبعا مجبتش سيرتي خالص انا عارفة

ضحك حازم وقال:
- في اللقائات التلفزيونية بقى ده اتفاقنا.

وجاء شاهين ثم هدير وتحدثا إليه وباركوا جميعا له.

*****

انتهى موعد العمل وخرج أحمد من المكتبة وخلفه رحمة مشت جواره وقالت:
- نسيت خالص احكيلك حازم اختراعه اتصنع وسوقوه كمان.

قال أحمد مبتسما:
- الف مبروك.
- الله يبارك فيك.. بيقول ان مفيش مجلة ولا جريدة الا و بتكلم عنه هناك.
- ربنا يوفقه.

قالت رحمة:
- يا رب. واستطردت: باباك بقى عامل ايه دلوقتي كنت بتقول امبارح انه تعبان

- الحمد لله بس لو فضل على الحالة دي لحد بكرة كمان احتمال يتحجز دعواتك بقى.

- ربنا يشفيه ويعافيه يا رب.

- يا رب.

نزلا إلى محطة المترو وصعد الاثنان العربة معا

كانت الزحمة خفيفة فقالت رحمة:
- النهاردة الجو رايق اوي يا سلام لو كل الأيام كده. واستطردت: انا وريم بقينا بنتكلم على طول انا مبسوطة اننا بقينا صحاب.

فلم ينتبه لها أحمد، كان شاردا منذ وفاة صديقه وهو غير طبيعي، وازداد كئابة وما زاد الطين بلة حالة أبيه تسوء يوما عن يوم.

فعقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- أحمد!

نظر لها أحمد وقال:
- ايوه

- ايوه ايه بقالي ساعة بكلم نفسي

- معلش يا رحمة مخدتش بالي

- طب اول ماتروح وتتغدي كلمني

- ماشي

- وسلم لي على ريم. واستطردت: ولا اقولك انا هبقى اكلمها

قال أحمد:
- انتو بترغوا الرغي ده كله في ايه بقى

قالت رحمة:
- نص الكلام عنك. واستطردت انا خايفة ريم تفتكرني بكلمها عشانك بس انا والله حبيتها وبكلمها عشانها هي مش عشانك اصلي معنديش اصحاب فمصدقت ألاقي حد أحكيله عنك

ابتسم أحمد وقال:
- لا مش هتفتكر كده لأنها هي كمان حبيتك جدا ونفسها تشوفك كانت بتقولي خليها

تيجي في مرة وتقعد معايا انا وبسمة شوية بس قولتلها مش هينفع

قالت رحمة:
- إن شاء الله اشوفها في فرحها

- إن شاء الله

- هي بسمة بتفضل عندكم

قال أحمد:
- اه انا بقول لريم تجيبها بالعافية حتى لو ماجتش بخلي ريم تروح تقعد معاها.
واستطرد بحزن:

لأن بسمة حالتها صعبة اوي من ساعة عبدالله

صمت عند تلك الكلمة

فأومأت رحمة برأسها متفهمة، فأكمل أحمد:
- لحد النهاردة بتفضل تعيط اصل هي وعبدالله كانوا توأم ومتعلقين جامد ببعض فماينفعش تقعد كده لواحدها الا لما تتخطى المرحلة دي

قالت رحمة بتأثر:
- ربنا يصبرها
- يا رب

جاءت محطة السيدة زينب فقالت رحمة:
- قوم بسرعة قبل الباب ما يقفل

قال أحمد:
- هروح معاكي لحد المعادي وارجع

- معملتش الحركة دي من زمان

- ادينى عملتها يا ستي

- طب كمل بقى كنا وقفنا فين

- كنا واقفين عند اني بحبك

ابتسمت رحمة وقالت:
- وانا كمان

ظل يتحدث الاثنان حتى جاءت محطة المعادي، قامت رحمة وأحمد ونزلا وقالت رحمة:
- اما تروح وتتغدى ابقى كلمني وطمني على باباك وريم وبسمة
- ماشي

وقفت رحمة إلى أن اتجه أحمد إلى الرصيف الآخر ورأت المترو قادم، فأشارت له وأشار لها حتى استقر المترو واستقل أحمد العربة التي أمامه وغادرت رحمة المحطة.

*****

عاد أحمد وهو ينظر من النافذة بشرود وحزن، فقد تذكر عبدالله صديقه مرت تسعة أشهر وحتى الآن حاله كحال بسمة شقيقة عبدالله، ولكنه متماسك ولا يظهر ذلك و يبكي فراق عبدالله لكن بينه وبين نفسه، نزلت دموع من عينيه فمسحها بطرف أنامله.
- اتفضل منديل

قالتها فتاة جالسة قبالته كانت ترصده.

قال أحمد دون أن ينظر لها:
- لا شكرا

حتى أتت محطة السيدة زينب ونزل.

*****

عاد إلى بيته فتحت له منار دخل وجد أمه جالسة واضعة إحدى يديها على خدها يبدو عليها الحزن فقال لها أحمد:
- ابويا عامل ايه

قالت عزيزة:

- تعبان يا احمد روحنا كشفنا النهاردة والدكتور حوله على القصر عشان يتحجز.

مط أحمد شفتيه ونظر إلى الأرض وقال:
- خير ان شاء الله

قالت عزيزة:
- إن شاء الله. واستطردت موجهة حديثها إلى منار:
- ادخلي هاتي لأخوكي ياكل

قال أحمد:
- لا مش جعان. واستطرد : ريم فين؟

قالت منار:
- جوه هي وبسمة.

قال أحمد موجها حديثه إلى عزيزة:
- هنودي ابويا بكرة امتى

- الصبح الساعة ٨

- ماشي هنقله واشوف ايه اللي هيتم واظبط الدنيا واطلع على الشغل

- يا بني روح شغلك انت، ريم قالت لمحمد وهيوديه معانا.
- لا، هنروح بيه انا وهواري بس وبعدين اروح الشغل ومفيش داعي تقولي لسمر وتيجي الصبح بعيالها انا هوديه وبعدين اتصل عليكِ تروحي.

في تلك اللحظة خرجت بسمة وقالت:
- سلام عليكم

قالت عزيزة:
- رايحة فين يابنتي؟ لسه بدري

قالت بسمة:
- لا هروح أاكل عمر وبابا بقى زمانهم جعانين

قال أحمد:

- عاملة ايه يا بسمة؟

- الحمد لله
- هنروح يوم الجمعة انا وهواري نزور عبدالله لو هتيجي انت وعمي سيد وعمر قوليلي عشان اعمل حسابي

- ان شاء الله هنروح حتى لو بابا ما رحش هنروح انا وعمر

- تمام إن شاء الله.

قال ذلك ودخل أحمد غرفته وغادرت بسمة.

*****

جاءت الثامنة صباحا هاتف أحمد رحمة وبلغها أن تأخذ إذنا له بالتأخير من مجدي حتى ينقل أباه ويأتي إلى العمل، وانتقل أحمد وهواري وكمال في سيارة أجرة إلى القصر العيني أنهى أحمد إجراءات الحجز وجلس جوار أبيه المستلقي على سرير المستشفى بينما ظل هواري واقفا لعدم وجود مقاعد، قال أحمد لأبيه:
- الف سلامة عليك يا بابا إن شاء الله يومين وهتخرج كويس.

قال كمال بإعياء:
- إن شاء الله

جاءت ممرضة ووضعت في وريد يد كمال كانيولة المحلول وقالت:
- حد فيكوا يمسك المحلول عشان مفيش عليقة دلوقتي

أمسكه هواري وقال موجها حديثه إلى أحمد:
- روح انت بقى الشغل وانا هنا كده كده معنديش شغل النهاردة

قال أحمد:
- تسلم يا صاحبي. واستطرد : هتصل على ريم بقى وهتيجي هي وامي واخواتي على ميعاد الزيارة خليهم يقعدوا شوية وروح اخواتي وامي اللي هتقعد معاه لحد ما اجي من الشغل

- تمام

- يلا سلام

- سلام

*****

معلش يا حسين الايام الجاية دي هتشيل شغل احمد كتير وانا هعمله معاك برضه لو اتأخر او مجاش وكده .. عشان ابوه اتحجز النهاردة في المستشفى ولو سيبته لما ييجي هو يعمله انت عارف استاذ مجدي ممكن يجيب حد غيره.

قالت ذلك رحمة وهي جالسة قبالة حسين في المكتبة بعد ما حمل حسين البضاعة إلى الداخل وحده، فقال حسين:
- ولا يهمك ربنا يشفي ابوه وييسر له الامور

قالت رحمة مداعبة:
- ماشي يا اصيل يا ابو الواجب
- عشان خاطرك انتِ بس

رفعت رحمة أحد حاجبيها وقالت:
- واحمد مش عاجبك يعني ولا ايه ،، ده انت تعمل خاطر لأحمد وانا لا

ابتسم حسين وقال:
- والله يا بخت احمد بيكي نفسي الاقي واحدة تحبني كده

قالت رحمة مداعبة:
- قل اعوذ برب الفلق هتحسد الواد. واستطردت بجدية:

إن شاء الله ربنا يرزقك ببنت الحلال وتعيش أجمل قصة حب،، انت كويس والله ياحسين وتستاهل كل خير
- ربنا يخليكي

جاء أحمد في تلك اللحظة نهضت رحمة وذهبت إليه وقالت:
- باباك عامل ايه اتحجز واطمنت عليه
- الحمد لله

جاء حسين وقال:

- الف سلامه على الحاج

قال أحمد مبتسما:
- الله يسلمك. واستطرد : معلش دخلت البضاعة لواحدك.

ربت حسين على ذراع أحمد وقال:
- ولا يهمك دي حاجة بسيطة ربنا يطمنك على الحاج

قال أحمد ممتنا:
- ربنا يخليك

*****

دلفت ريم وعزيزة ومنار وياسين المستشفى واستعلمت ريم عن أبيها واتجهوا حيث أبلغوهم. وجدوا هواري واقفا جوار السرير ويمسك بالمحلول وقفت ريم جواره وأخذت المحلول وقالت:
- اقعد انت بقى اكيد ماسكه من زمان.

قال هواري:
- لا عادي.

قالت عزيزة:
- معلش يا بني تعبناك معانا.

قال هواري:
- عيب يا حاجة ده احنا اهل وعم كمال ابويا وأحمد أخويا.

وأكمل بصوت منخفض هامسا لريم الواقفة بجواره:
- وريم خطيبتي.

ابتسمت ريم رغم حزنها على حال أبيها

قالت عزيزة:
- ربنا يكرم اصلك يا بني. واستطردت موجهة حديثها إلى ريم:
- اتصلي على سمر عرفيها ان ابوكِ اتحجز عشان ان بقي هتيجي

هاتفت ريم سمر وأخبرتها.

مرت ساعة وقال هواري:
- يلا يا ريم بقى انتِ ومنار وياسين عشان اروحكم، احمد قالي كده وهو هييجي من الشغل على هنا ويروحك يا خالتي ويقعد هو

قالت ريم:
- لا هنقعد مع بابا شوية

فقال هواري:
- احنا كتار واديكوا شايفين المكان عامل ازاي وكمان سمر زمانها هتيجي هي وعيالها ومينفعش ده كله مش عايزين كلام من حد.

قالت عزيزة:
- اسمعي الكلام يا ريم خدي اخواتك وروحي مع خطيبك محمد بيتكلم صح مش عايزين كلام من حد

قالت ريم باستسلام:
- حاضر

*****

ذهبت ريم بعد عودتها من المستشفى إلى بسمة بعد ما أبلغت هواري وسمح لها، صعدت ريم عند بسمة طرقت الباب طرقتين وانتظرت إلى أن فتحت لها بسمة وأدخلتها إلى حجرتها، جلست ريم على السرير وقالت:
- عاملة ايه يا بسمة

جلست قبالتها بسمة وقالت:
- الحمد لله عم كمال عامل ايه؟

قالت ريم بحزن:
- الحمد لله بس حاسة ان وجوده وسطنا احسن، المستشفى زي البيت ويمكن البيت احسن، تخيلي روحت لقيت محمد واقف ماسك المحلول!

قالت بسمة:

- جت على دي كل حاجة في البلد فيها إهمال. واستطردت: ربنا يقومه بالسلامة يا رب.
- يا رب.

رن هاتف ريم وجدته أحمد فتحت المكالمة وقالت:
- الو

قال أحمد:
- ايوه يا ريم معلش ابقي اطلعي حطي اكل للحمام عشان هبات مع ابوكِ هتلاقي القمح في كيس متعلق في الغية من الجنب

- ماشي

- يلا سلام

- سلام

أغلقت ريم وقالت:
- ده احمد بيقولي احط اكل للحمام عشان هيبات مع بابا

قالت بسمة بنصف ابتسامة:
- مش فاكره ايه اللي جاب سيرة احمد والحمام قبل كده فعبدالله الله يرحمه كان بيهزر قالي احمد صاحبي ده بيحب غية الحمام اكتر من امه وابوه شكله بيحب الحمام اوي فعلا.

ابتسمت ريم وقالت:
- اه كانت هواية وبعدين الموضوع اتطور وبقيت غية الحمام بالنسبة لأحمد حاجة مينفعش الغنى عنها وبقي يزعل أوي لو حمامة ماتت أو ...توقفت عند تلك الكلمة عندما رأت بسمة تبكي فقالت:
- بتعيطي ليه يا بسمة والله انا فيا اللي مكفيني

قالت بسمة باكية:
- عشان صعب عليا اوي انطق اسم عبدالله وبعديها الله يرحمه حاسة اني في كابوس وطول اوي.

احتضنتها ريم وبكيت الاثنتان، كانت ريم تبكي تأثرا لحال بسمة ومن حزنها على حال أبيها أيضا، ظلت متماسكة حتى انفجرت هي وبسمة في البكاء معا.

*****

جاء الوقت بعد منتصف الليل فرش أحمد غطاء على الأرض ونام جوار سرير أبيه في غرفة المرضى، حالة أبيه المتأخرة كانت تتطلب مرافقا جواره، وضع ذراعيه علي عينيه لينام ولكن أنات مريض برغم ضعف صوتها كانت تخترق صميم أذنيه، فقام ذهب إلى المريض وقال له:
- اناديلك دكتور يا حاج

أشار له المريض على علبة دواء جواره وقال:
- معلش يا بني هتعبك هاتلي كوباية مياه اخد البرشامة دي

- حاضر بس اناديلك دكتور يشوفك
- على ماتنادي عليهم وحد ييجي هكون اتحسنت

اتجه أحمد نحو الباب وقال:
- طب هروح اجبلك المياه

عاد أحمد وجلب المياه وأعطاها للمريض وقال:
- بالشفا إن شاء الله

قال المريض:
- متشكر يابني تعبتك
- تعبتني ايه يا حاج دي حاجة بسيطة إن شاء الله تقوم بالسلامة وترجع بيتك

ابتسم المريض في وهن وقال:
- هو اللي بيدخل القصر يا بني بيطلع على رجله ده حتى بيقوله عليه الداخل مفقود والخارج مولود ،،عارف كل كام يوم بيموت حد من الاوضة ويجبولنا غيره انا مستني دوري.

أشار له المريض على مريض آخر موصل في أنفه خراطيم طبية وقال بصوت منخفض:
- شايف ده كده خلاص بيودع ومع ذلك مفيش دكاترة بتيجي تشوفه غير في مواعيد

معينة معانا كلنا

قال أحمد:
- لا إن شاء الله هتبقي كويس وتخرج على رجليك
- يااارب

أشار له أحمد على والده وقال:
- هروح لأبويا بقى إن احتاجت حاجة قول يا احمد بس هجيلك علطول.

ابتسم المريض رغم ألمه وقال:
- ماشي ياحمد ربنا يباركلك يا بني وانا اسمي محمد قولي يا حاج محمد

ابتسم أحمد وقال:
- ماشي ياحاج محمد. قال ذلك وعاد إلى فراشه واستلقى وظل يفكر في كلام المريض "هو في حد يا بني بيدخل القصر ويطلع على رجله ده حتى بيقوله الداخل مفقود والخارج مولود"

فكر أن ينقل أباه مستشفى آخر استشاري ولكن أين المال لذلك،، شعور العجز يلاحقه أينما كان. سمع أباه يتألم فقام على الفور وقال:
- مالك يا بابا؟

- عضمي واجعني اوي.

- طب استني هروح انادي دكتور يشوفك

ذهب أحمد إلى أحد الطرقات ينظر في الغرف بحثا عن طبيب فلم يجد، وجد ممرضة قال لها:
- فين الدكاترة؟

قالت الممرضة بلا مبالاة:
- معرفش انزل دور تحت.
- هو مكانهم فين طيب ؟ انا مش لاقي حد

تأففت الممرضة وقالت:
- ريح نفسك محدش هييجي دلوقتي

انفعل أحمد وقال:
- يعني ايه ابويا جوا تعبان
- خلاص ما تزعقش هاجي اديله حقنة فولتارين

جلبت الحقنة وذهبت معه وأعطت لأبيه الحقنة وخرجت، جلس أحمد جوار أبيه حتى ذهب الوجع قليلا عن أبيه وحاول أن ينام.

*****

دخل هواري حجرته أخرج هاتفه وجلس على سريره وهاتف ريم، فتحت ريم المكالمة وقالت:
- الو

قال هواري:
- وبعدين بقى؟

- وبعدين في ايه؟!

- صوتك حزين

- طب اعمل ايه وهو بابا تعبان ومحجوز في المستشفى
- ما تعمليش ادعي ربنا يشفيه حزنك مش هيخففه انا عارف انه مش بمزاجك بس صدقيني الحزن مش هيفيد

بكت ريم وقالت:
- بس انا خايفة عليه اوي
- يووه بقى يا ريم بالله عليكِ ما تعيطي إن شاء الله هيبقى كويس. واستطرد: امسحي دموعك بقى وعشان خاطري عندك ما تعيطيش

مسحت ريم دموعها وقالت:
- حاضر

قال هواري:
- اقولك نكتة

ضحكت ريم وقالت مداعبة:

- لاحظ اني زعلانة ومش ناقصة غم

ضحك هواري وقال:
- لا ما تقلقيش احتمال تعجبك
- احتمال! وكمان مش متأكد

- طب اسمعي

- سمعني

- بيقولك مرة فكهاني دخل بيت رعب مات من الخوخ

ضحكت ريم بشدة

فقال هواري:
- طب انا مش فاهم انت كده بتضحكي ولا بتعيطي

قالت ريم وهي تضحك:
- ابوس ايدك بلاش تحكي نكتك دي لحد انا وانت ستر وغطا على بعض، انما اللي بره ماتضمنش ايه اللي ممكن يحصل

- هفكر

- تفكر في ايه؟

قال هواري:
- انك تبوسي ايدي وابطل احكي النكت دي لحد يعني. واستطرد: طب ماتبوسي خدي وابطل من غير تفكير
- اما اعرض على احمد الموضوع ده.

- لالالا خلاص بطلت.

- ايون كده احترم نفسك.

*****

استيقظت رحمة من النوم لتذهب إلى دورة المياه، خرجت من الحجرة وجدت هدير

متكئة على الأريكة ممسكة بكتاب وتذاكر فوضعت رحمة يدها على فمها وهي تتثاءب نظرت في ساعة الحائط وجدتها الواحدة والنصف صباحا فقالت بصوت ناعس:
- ايه ده غريبة صاحية لدلوقتي تذاكري

قالت هدير:
- الامتحانات قربت بقى وكده

- ربنا معاكِ.

- يا رب.

*****

جاء يوم الجمعة وذهب كل من أحمد وهواري وعمر وبسمة إلى المقابر لزيارة عبدالله وقفوا عند القبر فقال أحمد:
- بسمة هتفضلي تعملي زي كل مره هنمشي على طول انت ليه مش مقتنعة انك كده بتضايقيه! اقرأي له قرآن احسن من العياط.

اومأت بسمة برأسها متفهمة، وعيناها مليئة بالدموع.

كان معها حقيبة أخرجت منها سجادة صغيرة فرشتها وأخرجت زجاجة مياه تسقي الصبار سقته، وأخيرا أخرجت المصحف وجلست متربعة تقرأ سورة يس ودموعها تنهمر بلا توقف وجلس أحمد وهواري وعمر ثانين ركبهم و محاوطينها بذراعيهم، منهم من كان يتذكر أيامه معه ومنهم من كان يتحدث إليه في سره، رغما عنهم نزلت دموعهم الحبيسة في صمت وأعلنت الاستسلام، حاول كل منهم ألا يظهرها للآخر مر جزء من الوقت حتى جاء هاتف إلى هواري فتح المكالمة وقال:
- ايوه يا ريس صمت قليلا وقال ماشي أنا في مشوار دلوقتي كمان ساعة هكون عندك إن شاء الله.

أغلق المكالمة وقال:
- جالي شغل هتقعدوا ولا هتعملوا إيه؟

نهضت بسمة وأشارت على قبر يبعدهم بمسافة قليلة وقالت:
- خمس دقايق بس هروح ازور ماما واقولها على حاجة ونمشي

أومأ هواري برأسه موافقا اتجهت بسمة إلى القبر الآخر وأخذت معها المصحف والماء لتسقي زرع الصبار استوقفها عمر وقال:
- استني يا بسمة انا جاي معاكي

ذهب عمر معها وبقي هواري وأحمد عند قبر عبدالله، قال هواري لأحمد:
- عبدالله واحشني اوي انا لحد دلوقتي مش مقتنع انه سابنا

قال أحمد:
- ولا هتقتنع لو حتى عدى على فراقه خمسين سنة لأن روحه عايشة جوانا اي مكان بنروحه هو كان بيبقى معانا فيه اي حاجة بنعملها كان بيبقى معانا فيها اي فرحة كنا بنفرحها لما ننجح او ناخد الدوري كان هو بيفرحها معانا اي افيه بنقوله هو كان بيقوله.

بكى هواري وأحمد معا فمسح أحمد دموعه وقال بضحكة مريرة ملطفا للجو:
- كان بيقولنا قبل مايركب المركب هتوحشوني اوي ضحك علينا وهو اللي وحشنا

فقال هواري:
- وكان بيقولك هتوحشني يا كئيب ييجي يشوف بقينا عاملين ازاي احنا الاتنين

ضحك الاثنان بمرارة واختلط ضحكهم بدموعهم حتى جاءت بسمة وعمر وغادروا المقابر.

*****

ذهب هواري إلى عمله وعاد أحمد إلى أبيه المحتجز في القصر العيني بعدما أوصل عمر وبسمة إلى منزلهم وجد أباه نائما.
- يا احمد يا احمد

قالها الحاج محمد المحتجز في ذات الغرفة

ذهب له أحمد وقال:
- ايوه ياحاج محتاج حاجة
- اقعد نتكلم شوية الحاج صلاح مات النهاردة واهله جم خدوه

قاطعه أحمد وقال:

- الحاج صلاح مين؟

أشار له المريض على أحد الأسرة وقال:
- اللي كان علي السرير ده ومركب خراطيم وقولتلك ده قرب يموت ومحدش سائل فيه

قال أحمد بأسى:
- لا حول ولا قوة الا بالله.. الله يرحمه

- مش قولتلك يا بني محدش بيخرج من هنا سليم
- ما تحطش الكلام ده في دماغك يا عم محمد عشان ربنا يكرمك وتخف وتقوم بالسلامة
- غصب عني يا بني كل يومين تلاتة حد يموت واشوفه وهما مطلعينه على النقالة انا بوصيك يا بني لما اموت افتكرني بالدعاء.

- ربنا يبارك في عمرك يا حاج ويتم شفاءك على خير

- كله على الله

- ونعم بالله

قال أحمد ذلك ووجد شقيقته سمر دخلت الحجرة ومعها رضيعها استأذن أحمد من الحاج محمد وقال:
- بعد اذنك ياحاج اختي جت هروح اقعد معاها

أومأ الحاج محمد برأسه وقال:
- اتفضل يا بني

ذهب أحمد إلى سمر وحمل مازن عنها وقال:
- أهلا يا ام أحمد

قالت سمر:
- ازيك يا احمد وابويا عامل ايه اتحسن؟
- الحمدلله صحته مش مستقرة بياخد منوم عشان يعرف ينام ده غير المسكنات بس إن شاء الله هيبقى كويس

- إن شاء الله

جلس أحمد وقال:
- اقعدي يا سمر واستطرد اومال فين ميدو
- راح رحلة تبع المدرسة والله ماكنتش عايزه اوديه عشان ابويا

قاطعها أحمد وقال:
- إيه الكلام ده يا سمر ده طفل هو ذنبه إيه خليه يفرح ويتبسط

أكملت سمر:
- بس هو طالعها ببلاش تبع المتفوقين وخلى الميس بتاعته تتصل تقولي اطلعه الرحلة آخر ما زهقت وافقت وخلاص
- طالعة فين الرحلة دي بقى اكيد حديقة الحيوان وكوكو بارك

ضحكت سمر وقالت:
- والمتحف المصري

سمعت سمر رنين هاتفها أخرجت الهاتف وقالت باستغراب:
- ايه ده.. ده الميس بتاعته
قال أحمد وهو يلاعب مازن:
- طب ردي يمكن ميدو عايز حاجة

فتحت سمر المكالمة سمعت ضجيج وصريخ فقالت متلهفة:
- الو

قالت مها مدرسة أحمد ابنها بصوت واهن:
- ايوه يامدام سمر اتوبيس الرحلة عمل حادثة واحنا في المستشفى تعالي شوفي أحمد

:نهضت سمر وقالت بفزع

- مستشفى ايه؟!!!

- الدمراش

قال أحمد:

- في إيه يا سمر؟

قالت سمر باكية وهي تركض:
- أتوبيس الرحلة عمل حادثة وميدو في المستشفى يا ريتني ما وديته يا ريتني

لحق بها أحمد وقال:
- طب استني انا جاي معاكِ

*****

طوال الطريق كانت سمر تبكي وتقول:
- استر يا رب استر يا رب

قال أحمد:
- اهدي يا سمر إن شاء الله حاجة بسيطة

كان أحمد قلقا للغاية ولكن كان يهدئ من روعها

أخرج أحمد هاتفه وقال:
- اسكتي ياسمر عشان هكلم ريم تقول لأمي تروح تقعد مع ابويا في المستشفى لحد ما اروحله مش عايزها تسمعك عشان ما يقلقوش

تماسكت سمر وهاتف أحمد ريم وقال:
- ايوه يا ريم قولي لأمك تروح المستشفى تقعد مع ابوكِ لحد ما ارجع

قالت ريم:
- ليه انت فين
- انا في مشوار و هرجع على طول بس عشان ما نسيبوش لواحده

- خلاص ماشي

- سلام

أغلق أحمد الهاتف وكانا وصلا إلى المستشفى وركض الاثنان إلى الداخل اتجها إلى قسم الطوارئ وجدا الحال ليس على ما يرام سيارات الإسعاف تملأ المكان والأهالي تبكي وممرضات وأطباء يركضون، دخل أحمد وسمر حجرة بها الأطفال،

ظلت سمر وأحمد يبحثون في الوجوه التي قد فارقت الحياة والتي مازالت على قيد الحياة عن أحمد ابن سمر تكرر ذلك المشهد مرة ثانية لأحمد ولكن بشخص آخر مختلف قريب من قلبه أيضا حتى وجدوه، وحوله طبيب وممرضة يسعفونه فقد كان على قيد الحياة، قالت سمر بلهفة:
- ابني حبيبي وارتمت عليه

فجذبها الطبيب والممرضة وقال الطبيب:
- اهدي يامدام هتبوظي الدنيا

بعدت سمر وربت أحمد على كتفها وقال:
- احمدي ربنا انه عايش ان شاء الله هيبقى كويس
- الحمد لله الف حمد وشكر ليك يا رب

أنهى الطبيب ما يفعله وقالت سمر:
- طمني يادكتور حصله ايه
- كسر في دراعه اليمين وكدمات بس هو دلوقتي مغم عليه من الخضة وهيفوق

قالت سمر:
- الحمد لله اللي ييجي في الريش بقشيش

سمعت جوارها امرأه تبكي نظرت فوجدت امرأة تحتضن طفلها ميتا، كان وجه الطفل مألوفا ولكن الدماء تشوهه، عقدت حاجبيها متأثرة سمعت أمه تقول وهي تبكي :
- قوم يا آسر عشان خاطري.. قوم يا آسر

تذكرته عند سماع اسمه، إنه آسر صديق ولدها، شهقت ووضعت يدها على فمها وقالت:
- آسر!!
وبكت قال أحمد متأثرا:
- تعرفيه؟
- صاحب ميدو وقاعد جنبه في الديسك

ذهبت ذاكرة أحمد إلى يوم وفاة عبدالله صديقه فأغمض عينيه بقوة وقال:

- طب يلا هطلع اوقف تاكسي وناخد احمد ونمشي الحمد لله هو كويس.

ذهب أحمد يوقف سيارة أجرة وجلست سمر تواسي أم آسر.

*****

"مش ناوي تيجي بقي ولا ايه شكل القاعدة عندك عجبتك موحشتكش امك ياواد"

قالتها صفاء وهي تحدث حازم في الهاتف، ضحك حازم وقال:
- هي من ناحية القاعدة عجبتني فهي عجبتني لكن انتي وحشتيني جدا جدا جدا
- يا واد بطل بكش اومال مش عايز تيجي ليه طالما وحشتك تلاته جدا

قال حازم بجدية:
- مش قولنا انتوا اللي هتيجوا بقى زيارة انت نسيتي ولا ايه ده انا مقدم طلب للسفارة وبعدين انا مش هاجي الا لما اكون محقق حلمي واعمل ٣مراكز على الأقل لعلاج السرطان إن شاء الله واحد في القاهرة وواحد في اسكندرية وواحد في الصعيد
- ربنا يحققلك اللي بتتمناه يابني وتبقى اكبر دكتور أورام في مصر.. مصر ايه في العالم كله

قال حازم مبتسما:
- امين يارب. واستطرد :امشوا في إجراءات السفر بقى عشان تيجوا ٣شهور زيارة

- حاضر هدير قربت تخلص امتحانات اهي
- تمام يلا عايزه حاجة يا ماما
- لا ياحبيبي خد بالك من نفسك وكل كويس واتغطى كويس

- حاضر
- يلا سلام عشان معطلكش بقالي ساعة برغي

ضحك حازم وقال:
- سلام ياست الكل

*****

نظرت رحمة في ساعتها وجدتها الثامنة صباحا بالدقيقة جلست على مقعد في

المكتبة تهز قدميها، كان أحمد وحسين لم يأتوا، بعد دقائق أتى أحمد وخلفه حسين قامت رحمة وقالت:
- مردتش امبارح علي مكالماتي ليه؟

أخذ أحمد الشريط الذي به البطاقة التي تحمل اسمه وعلقها في رقبته وقال:
- حصل كام حاجة كده والله مافضيت دقيقة من امبارح

جلست رحمة وقالت:
- طب اقعد احكيلي حصل ايه وشكلك زعلان ليه

جلس أحمد قبالتها وقال:
- روحنا نزور عبدالله امبارح وبعدين روحت لأبويا على المستشفى وبعدين سمر جت وجالها تليفون ان احمد ابنها أتوبيس الرحلة بتاعه عمل حادثة وجرينا انا وهي علي المستشفى.

عقدت رحمة حاجبيها وقالت:
- ده اتوبيس رحلة ابتدائي اللي اتقلب على كوبري ١٥مايو ومات ٢٢طفل ومدرستين

اومأ احمد برأسه وقال:
- اه هو

- احمد ابن اختك الحمد لله كويس صح
- الحمد لله بس ليه اصحاب ماتوا ونفسيته وحشة جدا

قالت رحمة بأسى:
- لا حول ولا قوة إلا بالله ربنا يصبره ويشفيه

واستطردت شوفت خبر امبارح ان الحكومة بتقول هتدي تعويض ٥آلاف جنيه لأسرة الفقيد بيستعبطوا والله على اساس ان الخمس الاف هيعوضه اللي مات

ضحك أحمد بسخرية وقال:
- شوفي الحكومة بتاعتنا دي دماغ يعني مات ٢٤ بالمدرسين وهيدوا لكل اسرة ٥الاف شوفي بقي ٥*٢٤ ب١٢٠ ال ١٢٠ الف دول كان اولي يصلحوا بيهم الطريق قبل الحادثة ما تحصل ده غير الحوادث اللي بتحصل كل يوم وناس كتير بتموت فيها

بس نقول ايه ربنا يعدلها

قالت رحمة:
- يا رب. واستطردت : ماما عايزانا نسافر ٣شهور زيارة لحازم في سويسرا

نظر لها أحمد وقال:
- وانت هتروحي؟
- لا طبعا مش هقدر اقعد ٣شهور من غير ما شوفك ده انا يوم الجمعة ببقى مش طايقه نفسي

ابتسم أحمد وقال:
- انا بقى كل يوم بعد ما بسيبك ببقى مش طايق نفسي

ابتسمت رحمة وقالت:
- ايه ده.. يعني انت بتحبني اكتر

- عندك شك في كده

- اه طبعا انا بحبك اكتر

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- لا انا عارف انا بقول ايه انا اكتر

مر حسين من جوارهم وقال:
- على وضعكم

ضحكت رحمة وقالت:
- شوف يسيب النكد كله ومايجيش غير في الحتة دي وبحقد على الفاضي

ضحك أحمد وقال:
- ابن حلال حسين

رن هاتف أحمد أخرجه وجد المتصل هواري فتح المكالمة وقال:
- طبعا مكلمني تقولي اخلي امي تفضل في المستشفى عند ابويا واجي على البيت عشان عايز تيجي النهاردة

ضحك هواري وقال:
- حبيبي يا فاهمني ايه الدماغ دي

- طيب يا معلم ابقى قول لريم تقول لأمي بقى تخليها لحد ما اروحلها

- لا ما انا خلاص قولت لريم

- ده انتو مرتبين كل حاجة بقى

- ده بعد اذنك طبعا يا معلم

- انت خليت فيها اذن يا بني على العموم ماشي هطلع على البيت

- اشطة سلام

- سلام

*****

ماتقوم يا احمد تعملنا شاي

قالها هواري مداعبا أثناء جلوسه مع ريم وأحمد

رفع أحمد أحد حاجبيه وقال:
- يكونش انا صبي القهوة بتاعك يالا ما خطيبتك اهي تعملك ده انت بجح وبعدين خمس دقايق وهمشيك اصلا عشان هروح المستشفى فأقعدهم بأدبك امين

قال هواري:
- مسيرك يا ملوخية تيجي تحت المخرطة هانت تلات اربع شهور ونتجوز وهذلك في بيتي زي مابتذلني كده بالظبط

قال أحمد:
- يابني قولتلك اقعد بأدبك انت ضيف رخم ليه

قال هواري:
- انت مش طايقني ليه؟ بص يا احمد انت تاخدني ار كي اوه وتروح داخل جايب ساطور من جوه وتقوم غزو في كليتي الشمال ونخلص

تدخلت ريم قائلة:
- بس احنا معندناش سواطير

عقد هواري حاجبيه وقال:
- يعني انت كل اعتراضك على الساطور ومش مشكلة عندك اني هبقى جثة هامدة

فضحك أحمد وقال هواري موجها حديثه لأحمد:
- بتقول معندكوش سواطير

قال أحمد:
- بتحبك اوي اصلها

*****

ايه رأيك بقى في موضوع السفر بعد امتحانات هدير نروح زيارة لحازم ٣شهور وانت تاخد اجازة بدون مرتب من الشغل وتيجي معانا.

قالتها صفاء موجهة حديثها إلى شاهين أثناء جلوس الأسرة حول المائدة لتناول طعام العشاء، مضغ شاهين اللقمة التي في فمه وقال:
- والله معنديش مانع انا فعلا محتاج لده

قالت رحمة:
- بس انا مش عايزه اسافر

عقد شاهين حاجبيه وقال:
- ليه!

قالت رحمة:
- هقعد عند تيته وكمان عشان شغلي

تدخلت صفاء قائلة:
- على أساس انك دكتورة في الجامعة

قالت رحمة:
- ياماما لو سافرت أستاذ مجدي هيجيب غيري

قال شاهين:
- مايجيب هو مفيش إلا الشغل ده لو كان وظيفة كنت قولت ماشي لكن ده شغل عادي هتلاقي غيره كتير

تدخلت هدير أخيرا وقالت:
- يابنتي حد يجيله فرصة سفر لسويسرا ويقول لاء انتِ دايما غاوية فقر كده ده لو ينفع الزيارة أكتر من ٣شهور ممكن اجل سنة تالتة عادي

قالت صفاء:
- قوليلها

قالت رحمة:
- معلش ياجماعة انا مش حابه أسافر

قالت صفاء:
- وانا مش هطمن عليك واحنا هناك وانتِ هنا

أنهى شاهين طعامه وقال وهو قائم:
- ماما عندها حق يارحمة لازم تروحي معانا عشان مانبقاش قلقانين عليكِ.

تركت رحمة الملعقة من يدها وقامت وهي تقول:
- بعد امتحانات هدير نبقى نتكلم

قالت صفاء:
- هدير باقيلها اسبوعين وتخلص وهنبدأ في إجراءات السفر من بكرة.

*****

شكلك زعلانة.

قالها أحمد أثناء جلوسه جوار رحمة في المكتبة.

قالت رحمة:
- ماما مصرة تسفرني معاهم

زم أحمد شفتيه وقال:

- يعني ممكن تسفرك غصب عنك

- مش ممكن.. ده اكيد

- طب وبعدين
- مش عارفه.. بس انا مش عايزه اسافر انت عارف لو سافرت ايه هيحصل.. استاذ مجدي هيجيب واحدة غيري ومش هنشوف بعض بعد كده. وأكملت بحزن : !واحتمال تنساني

قال أحمد بضيق:
- ايه الهبل ده! في حد بينسي نفسه؟

قالت رحمة:
- لا

- طب انت نفسي انساك ازاي!
- ما انا مش هقدر ابقى مش بشوفك كل يوم وكمان المشكلة في انه لو جاب واحدة تانية مش هيبقى في فرص نشوف بعض تاني

- انا هحاول مع استاذ مجدي اشيل شغلك لحد ماترجعي

- مش هيرضي ده ٣ شهور

صمت أحمد مفكرا ثم قال:
- جاتلي فكرة كويسة

قالت رحمة متلهفة:
- ايه هي
- تتفقي مع واحدة تشتغل مكانك لحد ماترجعي
- ماليش أصحاب ما انت عارف وبعدين مش عايزاك تشتغل مع واحدة غيري أصلا

ضحك أحمد وقال:
- احنا في ايه ولا في ايه؟ انتِ كمان اطمني انتِ ماليه عيني ده غير اني اصلا مش ببص لبنات

قالت رحمة:

- انا ضمناك انت بس مش ضامنة اللي هتيجي

مسك أحمد الشريط المعلق برقبته وقال:
- خلاص انا اعلق كارنية كمان زي ده ومكتوب عليه ملكية خاصة لرحمة شاهين

ابتسمت رحمة وقالت:
- اتريق اتريق. واستطردت : طب ايه رأيك تقول لريم او بسمة؟

ضحك أحمد وقال:
- حويطة يارحمة

*****

ذهب أحمد بعد انتهاء العمل إلى المستشفى لم يجد أمه جوار أبيه ،فجلس جوار أبيه النائم دقائق ووجد عزيزة دلفت الغرفة فقال أحمد:
- كنت فين ياماما؟

قالت عزيزة وهي تمسح يديها في جلبابها من بقايا قطرات ماء:
- كنت بتوضى ماكنش في مياه في الحمامات نزلت اجيب مياه من تحت
- هو ابويا نايم من زمان
- اه بقاله اكتر من ساعتين صحيه ياخد العلاج على ما اصلي المغرب جنبك
- حاضر

التف أحمد يوقظ أباه ضغط على كتفه وقال:
- بابا ..ياحاج

لم يستيقظ كمال فتركه أحمد، ونظر جواره، عبث بالأدوية التي فوق الكمودينو جوار السرير، مسك بخاخة ضيق التنفس وجدها فارغة، فنزل يبتاع له أخرى، ابتاعها وجاء دلف الحجرة وجد عزيزة ممسكة بيد كمال أول ما رأته قالت صارخة:
- الحقني يا احمد مش عارفة ابوك ماله

ظل أحمد يوقظ أباه لم يستجب، استدعى ممرضة كانت تمر على المرضى، جاءت مسكت يد كمال تقيس النبض وقالت:
- البقاء لله المريض متوفي من نص ساعة.
فقد صعدت روح كمال إلى ربها في هدوء، بعدما بغلت منه الأمراض مبلغها وأنهكته

لسنوات عدة.

ظلت عزيزة تصرخ وأحمد يهدئها وهو متماسك، ويضم شفتيه إلى أن اتصل بصديقه هواري وأبلغه ذلك الخبر ليأتي ينهي معه إجراءات الخروج.

وكان المرضى يتابعونهم متأثرين، ومن ضمنهم الحاج محمد أيضا كان يتابعهم بعيون مليئة بالأسى، مساكين هؤلاء المرضى ينتظرون موعدهم في هدوء كلما ينبت أمل في الشفاء بداخلهم ينتزعه وفاة مريض إثر الآخر.

*****

استقرت سيارة تكريم الإنسان أمام عقار أحمد، وأخرجوا كمال ميتا وصعدوا به إلى منزله، وانطلقت صرخات مدوية من ذلك المنزل واختلط البكاء والنياح بالصراخ وصعد الجيران جميعهم إلى منزل أحمد عند سماع تلك الصراخات وامتلأ البيت بالجيران، وجاءت بسمة احتضنت ريم وظلتا تبكيان سويا.

*****

بينما كانت رحمة جالسة مع أمها أمام التلفاز فقالت صفاء:
- بكرة هتروحي تعملي جوازات سفر انت وهدير انت عارفة انا وابوك عاملين من ساعة العمرة

قالت رحمة حانقة:
- ياماما قولتلك هروح عند تيته لحد ماتيجوا

قالت صفاء بحزم:
- قولتلك هتسافري معانا بطلي دلع بقى

- طب مش هدير عندها امتحان بكرة

- لا لسه يوم الخميس

استاءت رحمة فقامت ودلفت حجرتها أمسكت هاتفها ودقت على أحمد كي تبلغه أنها لن تذهب إلى العمل غدا حاولت مرارا ولم يجب.

*****

عادت بسمة إلى بيتها متأخرا دلفت حجرتها وظلت تبكي أمسكت إطارا به صورة تجمع عبدالله مع أمها، كان موضوعا على الكومودينو جوار سريرها، أخذتها وظلت تحدثهم كأنهم أمامها وتقول:
- انا تعبت بجد من بعديكم الدنيا وحشة اوي من غيركم ومفيش حاجة تفرح نفسي اجيلكم بقى. واستطردت موجهة حديثها إلى أمها، وهي تمسح دموعها:
- ماما هو عبدالله جالك! صمتت قليلا وتابعت عبدالله كان مهون عليا فراقك اوي ياماما اكيد انتوا في مكان احسن من هنا بكتير. صمتت قليلا وقالت بابتسامة باهتة:
- أصلا أي مكان أحسن من هنا صح؟ حتى عمي كمال مات النهاردة بسبب الإهمال.

قالت ذلك ثم انفجرت باكية وقالت:
- انا نفسي اجي عندكم بقى. وأكملت واهنة وهي تتغنى بالطريقة التي كانت تغني بها أمها لهم "عبدالله ياقلبي يانص القمر.. وبسمة حبيبتي النص التاني من القمر .. ..عبدالله وبسمة يبقى اكتمل القمر"

صمتت لحظة وقالت مبتسمة:
- فاكرة ياماما اما كنتي بتغني ليا انا وعبدالله الاغنيه دي واحنا صغيرين؟

قالت ذلك وضحكت بهستريا ثم زمت شفتها وظلت تنظر يمين ويسار كأنها جنت فجاءت في ذهنها فكرة كانت لا تلقي لها بالا وقامت على الفور لتنفذها، فتحت درج الكومودينو وأخذت مقصا، وفتحت الشرفة قصت حبلا من أحبال الغسيل، ودخلت حجرتها سريعا وقفت على مقعد ووضعت وسادتين عليه حتى تطول السقف عقدت الحبل ونزلت، ظلت تنظر إلى الإطار وتبكي، فأحضرت ورقة وقلم وبدأت تكتب ودموعها تسيل بغزارة، أنهت ماتكتبه وكان المحتوى الذي كتبته: "انا عارفه ان الانتحار حرام وكفر، بس انا مش قادرة اعيش اكتر من كده اكيد ربنا عارف ظروفي وهيسامحني لو عشت زيادة هتجنن وهبقى عالة عليكوا كده احسن هعيش ليه وعشان ايه اصلا كل حاجة بقيت تقرف وكل حاجة فيها اهمال امي ماتت بسبب الفقر وعبدالله غرق بسبب الفقر حتى عمي كمال مات النهاردة بسبب الفقر والإهمال مش هو بس اكيد في كتير ماتوا النهاردة زيه وزي امي وزي عبدالله مش عايزه استني لما ييجيلي مرض واموت في مستشفى عامة على سرير مات عليه كتير قبلي مش عايزه استنى لما اموت على طريق في حادثة مش عايزه استنى لما اموت من الفقر والإهمال كده كده هموت بس دلوقتي احسن والله مش قادرة

اصبر سامحني ياابا سامحني ياعمر" ثنت الورقة ووضعتها على الأرض جوارها وقامت وقفت على المقعد ولفت الحبل حول رقبتها ونفضت المقعد بقدميها بعيدا

*****

اتجهت رحمة وهدير باكرا إلى قسم الوثائق بالمصلحة التابع له المقر بمجمع التحرير لكي تستخرجا جوازات السفر، بعد أن جهزت الاثنتان جميع أوارقهم والصور ذات الخلفية البيضاء وجدتا زحاما غير عادي، فوقفتا في الصفوف الطويلة، أخرجت رحمة هاتفها ودقت على أحمد كي تبلغه بغيابها اليوم، ولكن لم تحصل على رد اليوم أيضا فهاتفت رئيس عملها الأستاذ مجدي وهبة لتستأذن منه غيابها اليوم وظلت تكرر اتصالها بأحمد من حين لآخر دون جدوى، فوقفت مستاءة حتى قالت هدير:
- رحمة احنا نسينا حاجة مهمة جدا

قالت رحمة:
- نسينا ايه!

- شهادة قيد الدراسة بتاعتي

- طب وبعدين

- هنعمل ايه

قالت رحمة بضيق:
- معرفش انا مش طايقة السفرية دي أصلا يارب مانسافر خالص. واستطردت :يلا نمشي بقى لما تبقي تجيبها انا هروح الشغل وانت روحي

- لا ممكن نروح نجيبها من الجامعة ونيجي حتى تكون الزحمة دي خفت شوية

- خفت ايه دي بتزيد

صمتت هدير مفكرة ثم قالت:
- احنا هنستأذن من الست اللي قدامنا او اللي ورانا ونعرفهم ان ده مكاننا لحد مانروح نجيبها من الجامعة ونيجي حتى بدل مانفضل واقفين هنا ونتعب
- طب قوليلهم شوفي هيقولولك ايه

قالت هدير للسيدة الخمسينية التي خلفهم أنهما ستذهبا إلى الجامعة لإحضار إحدى

الأوراق الناقصة ويجيئون سريعا وأن تحفظ لهم مكانهم في الصف فوافقت دون تردد وقالت:
- روحي يابنتي ماتقلقيش مكانكم زي ماهو

قالت هدير:
- ربنا يكرمك ياحاجة

وذهبت مع رحمة إلى الجامعة.

*****

كان وقت الظهيرة و القرآن مسموع في بيت أحمد بصوت عال نوعا ما، وريم ومنار في حجرتهم يبكون ومعهم بعض جيرانهم يهدئونهم وعزيزة جالسة تبكي في صمت دون شهيق، الدموع تنساب من عينيها فقط وحولها النساء بالملابس السوداء ليعزوها وسمر جالسة معهم تبكي بصوت عال.

ربتا من بجوارها على ظهرها وقالت إحداهم:
- ارتاح من المرض ادعيله ياسمر ماتعمليش كده اومال اخواتك الصغيرين يعملوا ايه

أما أحمد كان جالسا في الغرفة التي بها الرجال عاقدا ذراعيه أمام صدره وناظرا أمامه بشرود، يكسو ملامح وجهه حزن عميق، وكان هواري وياسين يقدمون القهوة والشاي للمعزيين

*****

فتح سيد والد بسمة باب حجرتها وهو يقول:
- كل ده نوم يابسمة

نظر إلى السرير لم يجدها، جال الحجرة بعينيه فوجد قدميها تهتزان في الهواء، رفع نظره لأعلى، فوجدها معلقة بحبل من رقبتها في السقف ووجهها مختنق ومتغير لونه، صعق من هول ما رآه، واختل توازنه، فأمسك مقبض الباب كي لا يسقط أرضا، وظل صامتا تحت تأثير الصدمة، رأى عمر أباه هكذا نادى عليه فلم يجبه ذهب إليه وقال:
- مالك يا بابا؟

فرأى ذلك المشهد الذي رآه أبوه قبل قليل، فلف رأسه وصرخ بصوت عال:
- لاااا

واحتضن أباه ودفن رأسه في صدره وظلا يبكيان سويا

*****

كانت أم محمود إحدى سكان منطقة أحمد وعبدالله في شرفتها تلملم غسيلها المنشور فوقع نظرها دون قصد على حجرة بسمة فبسمة عندما خرجت إلى الشرفة تقطع الحبل لم تغلق الشيش وراءها.

لم تنتبه أم محمود جيدا لما رأت، ثم تذكرت أنها رأت مشهدا غير عادي، فعادت بعينيها ثانية رأت بسمة معلقة فظلت تصرخ بصوت عال وقالت:
- الحقوا بسمة

حتى فزعوا الجيران وفزع من بالعزاء في منزل أحمد، وتجمعوا يسألون مابها؟ فأشارات لهم على شرفة بسمة وكررت مرتجفة:
- الحقوا بسمة ..الحقوا بسمة

صعدت ريم إلى شقة بسمة سريعا، وكثير من الجيران أيضا، دخلت ريم رأتها هكذا فسقطت مغشيا عليها، ونزل طفل صغير يركض يبلغ أمه ماحدث، فقابله هواري وأحمد، فقال أحمد:
- في ايه يا اسامة عند عم سيد؟

قال أسامة:
- الحقوا ده ريم اغم عليها فوق وبسمة انتحرت وشنقت نفسها

تركه الاثنان واتجها إلى العقار الذي به بيت عبدالله، وصعدا السلم سريعا وجدا الأمر حقيقيا عكس ما ظنا، والبيت مليئا بالجيران الذين يهمهمون بعضهم يقول:
- لا حول ولا قوة إلا بالله

والبعض الآخر حزين.

فاخترق الاثنان الزحام حتى وصلا إلى ريم، وكان بعض من الجيرة يصحونها، نظر أحمد وهواري إلى بسمة المعلقة نظرة أسى، فوقع نظر أحمد على الورقة المثنية

تحتها، أخذها وقرأ ما بها فسقطت دموعه رغما عنه، ووضعها على السرير وأخذ ريم يسندها و هواري إلى بيتها، وعاد الاثنان ثانية إلى عم سيد وعمر، يواسونهما ويقفان بجانبهما في هذه المحنة المفجعة.

*****

جاء وقت العشاء وكانت رحمة مستاءة إلى أقصى درجة، حتى الآن لم يجب أحمد على مكالماتها التي قد تعدت المائة، فخرجت من حجرتها جلست جوار صفاء وهدير فقالت هدير مداعبة:
- رحمة لو عرفت اللي فيها هتروح فيها ده كانت ناقصة تعيط النهاردة في المجمع من الزحمة

قالت رحمة بتأفف:
- ده ايه ده ..حاجة تقرف والله الطابور لو اتحسب ممكن يعدي اتنين كيلو متر

قالت صفاء وهي تضحك:
- اهو كلنا هنروح طابور بكرة

قالت رحمة باستغراب:
- ليه ماهو مش معقول الباسبور بيطلع تاني يوم يعني

قالت هدير:
- لا لازم نجيب شهادة تحركات قال عشان مسافرين منطقة الشنجن حازم اللي قال كده لما كلم ماما النهاردة.

قالت رحمة بضيق:
- ايه الاختراعات دي؟ ايه منطقة الشنجن دي؟ هي وشهادة التحركات دي كمان؟

قالت صفاء:
- منطقة الشنجن دي بتضم ٢٦ دوله اوروبية ومن ضمنها سويسرا وشهادة التحركات دي اللي بتوضح آخر سبع سنين سافرتي فين وجيتي منين

قالت رحمة:
- طب انا مسافرتش قبل كده

قالت هدير:
- قولت لحازم كده وقال لازم نجيبها برضه

قالت رحمة بتأفف:
- اوف بقى انا بكره اليوم اللي بروح فيه اي مصلحة حكومية ومعلش خليها الاسبوع الجاي بقى عشان ماينفعش اغيب بكرة كمان أستاذ مجدي كده هيطردني قبل ما اسافر

قالت صفاء:
- لا بكرة عايزين نخلص كل حاجة بسرعة عشان حازم وحشني اوي. واستطردت: اخوك موحشكيش يابت

قالت رحمة:
- وحشني جدا طبعا بس

قاطعتها صفاء وقالت:
- مابسش كلنا هنروح بكرة اصلا المفروض ماتروحيش الشغل بقى تاني لحد مانسافر

صمتت رحمة في ضيق

فقالت هدير وهي ممسكة بهاتفها وتوجه شاشتها نحو أمها:
- بصي ياماما جبت كل المعلومات اهي عن شهادة المراقبة اللي هي التحركات بتطلع من مجمع التحرير وبتتسلم بعد ١٤ يوم عشان نرتب مع السفارة وكده

قالت صفاء:
- متأكدة

قالت هدير:
- اه الكلام ده من على موقع وزارة الداخلية يعني كلام اكيد

فكانت هدير اكثر المتحمسين لتلك السفرية

*****

استلقى أحمد على سريره بعد يوم شاق من أخذ عزاء أبيه إلى دفن بسمة، وزيارته

لقبر أبيه وقبر عبدالله صديقه، تذكر الكلمات التي قرأها في الورقة التي تركتها بسمة، ظلت تلك الجملة "حتى عمي كمال مات النهاردة بسبب الفقر والإهمال" تجعله يختنق كلما تذكرها وظلت دموع القهر تنساب من عينيه.

*****

تقلبت رحمة على جنبها الآخر كانت مؤرقة كثيرا، استلقت على سريرها منذ ساعتين وإلى الآن لم تنم، فجلست موضعها على السرير وضعت إحدى يديها على وجنتها وقالت:
- استغفر الله العظيم مش عارفة انام خالص.. الله يسامحك يا احمد

فأخذت هاتفها من جوارها وجدت الساعة الثانية صباحا ففتحت موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" ترى أحمد نشطا أم لا فرأته غير نشط ووجدت أحد الأصدقاء مدونا منشورا عنده صباح اليوم يقول به " البقاء لله يا أحمد "

فاتسعت عين رحمة دهشة وعرفت من التعليقات أن أباه قد توفي.

ظلت تبكي ليس حزنا على أبيه فهي لا تعرفه، ولكن للحزن الذي سببه موت أبيه في قلب أحمد، كانت تريد أن تكون جواره في تلك المحنة وما ضايقها اكثر انها ستسافر وهو في تلك المحنة، ظلت تدعو أن لا تسافر وتبقى في مصر لتكون معه في هذه الفترة العصيبة

*****

جاء الصباح وتوجهت أسرة رحمة جميعها إلى مجمع التحرير كي يستخرجوا شهادة المراقبة، كانت رحمة صامتة تماما منذ أن قامت إلى أن ذهبوا إلى المجمع وجدوا مئات المواطنين أمام شباك استخراج شهادة المراقبة، وموظف واحد هو من يقوم بعمل ذلك للمواطنين. البيروقراطية الشديدة والروتين القاتل يجبرون الشعب أن يتحمل تلك المعاناة جراء استيفاء إجراءات يريدها ويهدر الكثير من وقته وجهده، وقف شاهين وصفاء وهدير ورحمة في الصف أكثر من ساعة، وكل حين تحدث مشادة كلامية بين بعض المواطنين او بين مواطن وأحد الموظفين، فذهب شاهين إلى أحد الموظفين وقال له:
- بقالي كتير واقف انا والاسرة وتعبت ماينفعش تمشيلي المصلحة دي

قال الموظف:
- نمشيهالك ياباشا بس تشربنا شاي

قال ذلك وهو يضغط بإبهامه على سبابته

فهم شاهين مقصده وقال بسخرية:
- اؤمر

- ورقة ب١٠٠ اصل كوباية الشاي ب٢٥ وانتوا اربعة وانا راجل حقاني
- ده انتوا بتغلوا الشاي مع الاسعار بقى انا آخر مرة جيت هنا كان كوباية الشاي سعرها بيتراوح من ١٠ ل ١٥

- كل حاجة بتغلى ياباشا عايز الشاي مايغلاش

ابتسم شاهين بمرارة وقال:
- لا عندك حق اشمعنى الشاي مايغلاش

وأخرج من جيبه مئة جنيها وأعطاها له وقال:
- طب اتفضل ياعم الحقني وخلصلي المصلحة

ابتسم الموظف وهو يأخذ المائة جنيه وجذب له مقعدا وقال:
- ارتاح ياباشا خمس دقايق وهتخلص المصلحة

*****

دلف هواري إلى المطبخ في بيت أحمد يضع أكواب الشاي وفناجين القهوة الفارغة أثناء خروجه وجد ريم وحدها جالسة بعباءتها السوداء على أحد المقاعد واضعة يدها على ذقنها والدموع تنساب من عينيها، جذب مقعدا أمامها وجلس عليه وقال:
- ريم انت عارفة ان عم كمال كان تعبان اوي والله ربنا رحمه .. يعني وهو عايش تعبان كده ماكنتيش بتتعذبي!

قالت ريم باكية:
- ودلوقتي العذاب بقى اضعاف
صمتت قليلا واستطردت:
- وكمان بسمة في نفس الوقت اللي محتاجاها فيه تهون عليا تضعف هي بالطريقة

دي. صمتت ثانية واستطردت دامعة : مش قادرة انسى شكلها
- بس ده اختبار من ربنا ولازم نصبر على الابتلاء واحنا راضيين عشان ناخد الاجر مفيش اختيار تاني

لم تعقب ريم وبكت أكثر فقال هواري:
- طب هو الحزن والعياط بيرجعوا الميت

قالت ريم:
- قول الكلام ده لنفسك يامحمد مش ليا كلنا عارفين ان الحزن والعياط مش بيرجعوا الميت ومع ذلك بنموت من الحزن والعياط عشان فكرة الفراق نفسها.
صمتت قليلا واستطردت : فكرة انك مش هتشوفه تاني ابدا دي حاجة كفيلة انها تموتك من الوجع وعلى فكرة احنا مش بنعيط وبنحزن على الميت لأنه ارتاح من الدنيا وقرفها احنا بنعيط وبنحزن على نفسنا اننا هنكمل بقية حياتنا من غيره. صمتت قليلا ثم قالت:
- انت نفسك من ساعة عبدالله ما مات وانت مابقتش زي الاول على طول سرحان او بتهزر وبتضحك على اي حاجة مع ان الحزن باين جدا في عنيك. صمتت قليلا واستطردت : أصل الميت عمره ماهيرجع والمشتاق له عمره ماهيبطل يشتاق له.

صمت هواري قليلا وقال بهدوء:
- طب ممكن على الاقل بلاش تعيطي قدامي.

قال ذلك ونهض من مكانه وتركها.

*****

في اليوم التالي ذهبت رحمة إلى العمل دلفت المكتبة وجدت حسين فقالت:
- احمد لسه مجاش

قال حسين:
- مجاش من يوم الاتنين زيك تقريبا هييجي النهاردة. واستطرد : انتِ كنت غايبة معاه ليه! طب هو ابوه مات وفي العزا انت مكنتيش بتيجي ليه ده انا اتفحت شغل

جلست رحمة وقالت:
- كنت باتيل اعمل إجراءات السفر . واستطردت: انت عرفت ازاي ان ابوه مات؟ ده

انا معرفتش غير اول امبارح بالليل.

- اتصل بأستاذ مجدي وقاله حتى روحنا عزيناه امبارح

- واحمد عامل ايه كويس؟

- كويس ربنا يصبره

قالت رحمة:
- يارب ويرحم باباه

قال حسين:
- الله يرحمه كلنا هنموت بس مالك زعلانة كده من اجراءات السفر حد يزعل انه هيسافر بره مصر تيجي نبدل

في تلك اللحظة دلف أحمد، فنهضت رحمة سريعا وذهبت إليه، وتركت حسين وقالت:
- عامل ايه يا احمد؟

قال أحمد:
- الحمد لله

قالت رحمة:
- البقاء لله كلنا هنموت
- ونعم بالله

قام حسين سلم عليه وتركهم يجلسون وحدهم ظل الاثنان صامتين، فقطعت ذلك الصمت رحمة وقالت:
- كان نفسي اجي مع حسين واستاذ مجدي البيت عندك عشان اعزيك واعزي ريم بس ماكتش باجي الايام دي عشان كنت بعمل إجراءات السفر

ظل أحمد صامتا فاستطردت رحمة:
- كمان كان نفسي ماسافرش عشانك بس هيسفروني غصب

نظر لها أحمد وقال:
- سافري يارحمة وانسيني خالص ابدأي حياة جديدة انا مانفعكيش

اتسعت عين رحمة ذهولا وقالت:
- ايه الكلام الغريب ده؟!!
- مش غريب ده اللي قولته ليكي من اول ما اعترفتلك بحبي

- يعني ايه؟
- يعني انا بتعذب كل يوم عشان معلقك معايا وانت مالكيش ذنب ومش هقدر استحمل اكتر من كده

ضمت رحمة شفتيها محاولة التماسك وقالت:
- يبقى انت ماحبتنيش يا احمد

قال أحمد وهو ناظر أمامه:
- انا مش بقول كده غير عشان خاطر بحبك، كل يوم الوضع بيختلف عن الاول وانت اللي هتخسري في الاخر انا عارف ومتأكد ان اكيد جالك فرص جواز كتير وضيعتيها عشاني

قالت رحمة دامعة:
- بس انا عمري ما اشتكيت ومبسوطة كده
- وانا مش مبسوط كده

نظرت رحمة إلى أحمد وقالت:
- عارف يا احمد انت مشكلتك انك ضعيف اول موقف صعب اتحطيت فيه عايز تسيبني بحجة الظروف .. بس انا مش هاخد على كلامك دلوقتي عشان انت لسه مصدوم في موت ابوك وبتقول اي كلام.

قال أحمد بانفعال:
- لا مش بقول اي كلام انا عارف انا بقول ايه .. انا اصلا خلاص قررت اني مش هتجوز خالص. صمت قليلا واستطرد : هتجوز ليه؟ عشان اجيب عيال يتعذبوا زيي كده والله حرام اجيب عيال في بلد زي دي هبقى ظالم لو جبت عيال امرمطهم زيي.

قالت رحمة:
- كل اللي انت بتقوله ده مش مبرر

نظر أحمد في عينيها وقال:

- لا مبرر عارفة ليه؟ عشان بسمة انتحرت من العيشة في البلد دي، حتى ابويا مات ومعرفتش اعالجه وصاحب عمري مات عشان كان نفسه يعيش عيشة نضيفة عايزاني بقى اتجوز واجيب عيال في بلد زي دي

قالت رحمة باكية:
- بس انا يا احمد بحبك

تحاشى أحمد النظر إليها كي لا يرى دموعها وقال دامعا أيضا:
- انا كمان والله بحبك بس نصيبك كده وقعك في واحد بأس زيي .. صدقيني يارحمة انا بحبك وعمري ماحبيت حد قدك بس الظروف كلها ضدي. صمت قليلا واستطرد: بالله عليك ماتضغطيش عليا ماتحملنيش فوق طاقتي سافري يارحمة السفر هيكون احسن ليكي وليا

قالت رحمة:
- بس انا يا احمد لو سافرت وانت مصمم على كلامك ده مش هرجع تاني

قال أحمد بثبات:
- هو ده اللي انا عايزه ابدأي حياة جديدة واول فرصة جواز تجيلك اتجوزي عشان ماتعذبش اكتر من كده

قالت رحمة بنصف ابتسامة:
- كمان مش فارق معاك لدرجة اني اتجوز. صمتت قليلا وتابعت: السفر يوم ٢٠ يعني بعد ١٨ يوم يا احمد راجع نفسك لو سافرت على موقفك ده مش هرجع تاني

قال أحمد متماسكا:
- كلامي زي ماهو انا فكرت كتير قبل ما اخد القرار ده وجودك جنبي ظلم ليكي وانا ماتعودتش اظلم حد

- انت عارف ان بعدك عني اللي هيبقى ظلم ليا
- الظلم اني افضل معلقك معايا، انتِ بنت ناس وانا عندي اخوات بنات مرضاش ان يحصلهم كده ارتباطنا من البداية غلطة لازم نتحملها لحد ماننسى بعض

قالت رحمة بوهن:
- ارتباطنا غلطة! ممكن بالنسبة ليك لكن بالنسبة ليا عمري ماهعتبر اجمل ايام

عشتها غلطة وهفضل طول عمري احبك وهعيش على الذكريات الجميلة اللي بينا وعلى فكرة الكلام ده مش بضغط عليك بيه انا بس بعرفك انت بالنسبة ليا ايه

قال أحمد دامعا:
- كفاية بقى يا رحمة وانسيني صدقيني مش هينفع نكمل

قالت رحمة في محاولة أخيرة:
- يعني ده اخر كلام عندك يا أحمد

قال أحمد بثبات:
- اه . واستطرد: بس لازم تعرفي اني بقول كده لمصلحتك واني حبيتك بجد وعمري ماحبيت حد زيك.

نهضت رحمة وقالت باكية:
- حب ايه بقى

قالت ذلك وأخذت حقيبتها وغادرت المكتبة، ووضع أحمد رأسه بين كفيه.

*****

مرت أيام قليلة وكان آخر اختبار لهدير غدا، فجاءت إلى رحمة في حجرتها وهي ممسكة بكتاب وقالت:
- رووووما خدي سمعيلي وحياة اغلى حاجة عندك ماتقولي لا ده بكرة آخر مادة.

أخذت رحمة الكتاب منها في صمت فقالت هدير:
- اصبري عليا ماتجاوبيش بسرعة لو اتأخرت في الاجابة
أومأت رحمة برأسها موافقة وبدأت تسألها وهدير تجاوب إلى أن جاءت عند إجابة كانت هدير تسترسل فيها وتقول:
- كيميت كان ذلك الاسم الذى أطلقه المصريون على بلدهم وتلك الكلمة تعني الأرض السوداء ويرمز ذلك الاسم لأرض وادى النيل الطينية الذي يفرقها عن الأرض الحمراء الصحراوية.

جاءت إلى هنا ونظرت إلى رحمة وجدتها شاردة فقالت بصوت عال:
- رحمة!

نظرت لها رحمة وقالت بحزن:
- نعم

قالت هدير باستغراب:
- نعم ايه بقالي ساعة بجاوب وانت مش هنا
- لا معاكِ.

قالت هدير:
- طيب. وأكملت الإجابة: اليونانيون القدامى عندما جاؤوا إلى مصر وتعايشوا فيها أطلقوا عليها نفس الصفة التي تعني الأراضى الخصبة أو السوداء فأسموها " ايجيبتوس " و ده الاسم اللي اشتق منه اسم مصر الحالي في اللغات الأوروبية ""ايجيبت

فقالت رحمة بضحكة واهنة:
- غلط

قالت هدير بدهشة:
- هو ايه اللي غلط؟

قالت رحمة:
- ايجيبتوس مش يعني الأرض الخصبة أو السودة بيعلموكوا غلط

قالت هدير ومازالت مندهشة:
- اومال معناها ايه؟

قالت رحمة متماسكة:
- الارض الخصبة معناها الخير والرخاء المفروض ايجيبتوس يبقى معناها الارض الصحراوية اللي مفهاش اي خير باختصار المفروض يبقى معناها القهر.

نظرت رحمة إلى هدير وجدتها باديا عليها عدم الفهم فقالت رحمة دامعة:
- مستغربة ليه؟! اه القهر. واستطردت :قهر عشان قضت على حلم حازم اللي قعد سنين يدرس عشان يعمل حاجة للبلد وفي الآخر رفضوه وعشان عبدالله اللي غرق في البحر عشان كان بيحلم بحياة كريمة وعشان أحمد اللي معاه حقوق واتمرمط من شغلة لشغلة عشان يصرف على امه واخواته ومانفعش انه يستمر في حلم انه

يبقى قاضي ولا مستشار عشان ابوه كان موظف بسيط. واستطردت باكية : وبعدين ابوه مات عشان ماتوفرلوش فرص علاج كويسة اللي أساسا الدولة هي السبب في مرضه وعشان هواري اللي كان هيموت بسبب طمع وجشع المستشفيات الاستثماري وعشان الطرق والكباري البايظة اللي بيموت عليها أطفال رايحين مدارسهم وكمان عشان حسين اللي حب مرتين واتعذب عشان مش جاهز يفتح بيت لحد ما اقتنع انه ماينفعش يحب في بلد زي دي وعشان بسمة اللي انتحرت لأنها اتوجعت بما فيه الكفاية واكيد في حالات شبه دي كتير كل يوم بتحصل. كانت هدير تسمع وهي متأثرة حتى بكت معها دون أن تعرف من تتحدث عنهم رحمة غير أخيها حازم. ارتمت رحمة بين ذراعي هدير وأجهشت بالبكاء دون أن يهمها شيء، فعندما عادت من عملها منذ أسبوعين في غير موعدها لم تستطع البكاء أمامهم تجنبا لأي أسئلة تتوجه لها عن سر بكائها، واليوم انفجرت طاقتها المكبوتة أمام هدير ولم تستطع الكتمان أكثر من ذلك.

*****

اطلع يا احمد دخل البضاعة

قالها مجدي لأحمد الذي كان جالسا في ركن من أركان المكتبة وفي يده غلاف كتاب يعبث به دون اهتمام، لم ينتبه له أحمد فقد كان شاردا فذهبت له علا التي قد عملت بدلا من رحمة وقالت:
- كلم يا احمد استاذ مجدي بيقولك دخل البضاعة عشان حسين في المخزن.

نهض أحمد وقال:
- ماشي

رمى ما في يده في سلة المهملات وشرع في نقل البضاعة إلى الداخل.

*****

وقفت رحمة في شرفة بيتها تنظر على المارة في الأسفل من الطابق الخامس في شرود ثم جلبت هاتفها من حجرتها وفتحت المذكرة وظلت تكتب ماتراه بطريقتها:

كام واحد من دول شايل هم كام واحد ليه مريض سرطان لوكيميا دم"

كام واحد ليه غريق في البحر كام واحد من دول متضر

كام واحد مش لاقي وظيفة وبيعاني كام واحد عايش عالة علي واحد تاني

كام واحد ليه صاحب مات في طريق كام واحد من دول في ضيق

كام واحد حب واتعذب كام واحد حب بصدق وعشان ظروفه اتكذب

كام واحد من ٩٠ مليون انسان مش لاقي في وطنه مكان.
هطلت من عينيها دمعة منذرة بهطول سيل من العبرات، فمسحت عينيها بأطراف أصابعها وأكملت

ياللي بيسموكي ام استحالة تكوني ام

انت ممكن تبقي ام بس ام الاجنبي

اللي جاي يومين وماشي ويبقى ليكي ابن عم

اما ابنك اللي منك تيجي عليه تدوسي عليه مش مهم

مع انه واهب حياته ليكي ورغم القهر بيحبك حب جم

ولنشيدك حافظ صم فخليكي لينا بقلب ام

حسسينا اننا بشر من لحم ودم

"حاولي مننا تقربي حسي بينا والنبي.

اكتفت بذلك القدر وأغلقت هاتفها ودخلت حجرتها واستلقت على سريرها تبكي فكانت منتظرة طوال تلك الأيام أن يهاتفها أحمد، ويبلغها أنه تراجع عن قراره وأن لا حياة له بدونها مثلها.. لا حياة لها بدونه ولكن خابت ظنونها والأيام تتوالي وبدأ العد التنازلي لموعد السفر، يومان فقط وتذهب بلا رجعة وهو يعرف ذلك، وحتى الآن لم يهاتفها ليبلغها رجوعه عن قراره كان ذلك أكثر مايؤلمها.

*****

يا احمد انت بتحبها اللي انت عملته ده اكبر ظلم ليك وليها حرام عليك

قالها هواري وهو جالس مقابل أحمد على المقهى.

نظر له أحمد وصمت قليلا ثم قال بحزن:
- انا بعشقها مش بحبها بس

قال هواري باستغراب:
- يابني طب ليه تعمل في نفسك كده!

قال أحمد:
- خلينا واقعيين شوية ياهواري رحمة بنت كوبسة وبنت ناس واي حد يتمناها عايزني اربطها بيا وخلاص ودلوقتي الوضع اختلف ومش عارف امتى هكون جاهز دي كده تبقى انانية مش حب
- ياعم سيبها على الله

قال أحمد بيأس:
- ونعم بالله بس انا مقتنع باللي عملته ومع انه والله مش سهل عليا بس كده كده هي خلاص ميعاد سفرها يوم الخميس الجاي ربنا يوفقها ويساعدها وتنساني
- وانت هتعرف تنساها!

نظر أحمد إلى هواري وقال:
- لا انا مش هحاول انساها اصلا..في حد بينسى قلبه؟! قال ذلك ثم نظر أمامه واستطرد قائلا بنبره حزينة:
- عارف ياهواري رحمة دي مفيش في الدنيا دي كلها زيها أبدا وعندي اقتناع تام بكده ان مفيش ولا هيبقى فيه زيها تاني باختصار هي حاجة كده زي الظاهرة اللي ممكن تحصل كل ألف سنة مثلا طيبة وجدعة وحنينة جدا .. ساعات بتبقى عصبية وده قليل اوي واحيانا هبلة بس انا بحب هبلها ده جدا بحبها كلها على بعضها انا عارف ان مفيش إنسان كامل بس انا مش شايف فيها اي عيوب حتى لو فيها عيوب انا مش شايفها ومش عايز اشوفها عشان كده هفضل أحبها وعمري ماهحاول حتى اني انساها.

*****

ظل هواري يقلب في قنوات التلفاز بملل ثم أغلقه ووضع الريموت بجانبه، وجلس شاردا يفكر في حال أحمد، فكان حزينا لحزنه ظل يفكر كيف يجعله يعود إلى حبيبته، فحديثه عنها جعل قلبه ينفطر على حاله فكيف بحال أحمد نفسه وكيف

يحبها إلى هذا الحد ويتركها ويعيش بقية عمره متألما لفراقها، فأخرج هاتفه وهاتف ريم لتفكر معه كيف يجعل أحمد يتراجع عن قراره؟ فتحت ريم المكالمة وقالت بنبرة حزينة:

- الو

فلم يمر على وفاة أبيها وصديقتها الكثير ومازالت مفجعة، وتأقلم هواري على ذلك فقال:

- ايه ياحبيبتي عاملة ايه؟

- الحمدلله انت عامل ايه

- تمام. واستطرد قائلا : في موضوع مهم عايز اخد رأيك فيه

- ايه هو

- تعرفي ان احمد ساب رحمة؟

قالت ريم متفاجئة:

- ايه ده ليه؟

- بيقول انه ظالمها معاه ومش عارف هيبقى جاهز امتى وفاقد الأمل في كل حاجة

- بس رحمة بتحبه اوي

- وهو بيعشقها وانا بصراحة متضايق وعايزه يرجع عن اللي في دماغه انا حاسس بيه وعارف انه بيتعذب

قالت ريم بحزن:

- ياحبيبي يااحمد

فقال هواري مداعبا:

- يابخت احمد ده الكلمة دي مابتقاليش. واستطرد بجدية : المهم هنعمل ايه بقى؟

قالت ريم:

- عشان كده رحمة مش بتكلمني بقالها فترة

قال هواري متذكرا:

- اه صح مش انتِ معاكِ رقمها وبتتكلموا!

- اه
- طيب كده حلو اوي كلميها قوليلها انك عايزه تشوفيها قبل ماتسافر ونخليهم يتقابلوا انا متأكد انهم لو شافوا بعض هينسوا كل حاجة
- اه حلوة الفكرة دي هكلمها بكرة ان شاء الله عشان دلوقتي الوقت اتأخر

قال هواري:
- بس تكلميها اول ما تصحي عشان سفرها بعد بكرة
- ماشي

*****

ذهبت رحمة وبقية أسرتها إلى مجمع التحرير لكي يتسلموا شهادة التحركات فقد ترتب كل شيء وموعد السفر وذلك آخر مطلب لأوراق السفر بعد المعاناة وصلوا إلى شباك الموظف ليتسلموها قال الموظف:
- لسه معاد الاستلام مجاش الاستلام بعد ٣٠ يوم عمل

فقال شاهين:
- يعني ايه! لازم نستلمها احنا مرتبين مع السفارة ميعاد السفر واحنا قرأنا على موقع وزارة الداخلية ان الاستلام بعد ١٤ يوم كحد اقصي واحنا جينا بعد ١٨ يوم مش ١٤

قال الموظف غير مبال:
- روح اشتكينا للوزارة ووسع بقى للي بعدك يا استاذ ماتعطلنيش

قالت صفاء:
- هنعمل ايه؟

قال شاهين:
- استنوا هنا وانا هروح اشوف حد اكلمه واشوف ايه اللي هيتم

قال ذلك وتركهم وتوجه إلى الطابق الثاني من المجمع حيث مكان مدير إدارة المراقبة، دخل شاهين وقص للضابط ماحدث وأنه تصفح موقع وزارة الداخلية للاستعلام عن شهادة التحركات وكان الموقع يقول أن التسليم خلال ١٤ يوما وأنه رتب مواعيد سفره على هذا الأساس فقال الضابط:
- ملناش علاقة بموقع الوزارة هي بتتسلم بعد ٣٠ يوم عمل وممكن كمان تتأخر عن

كده

لم يعقب شاهين وترك الضابط وعاد إلى صفاء ورحمة وهدير قالت صفاء:
- ها عملت ايه

قال شاهين بانفعال:
- ماعملتش يلا على البيت مفيش سفر ولا زفت.

فاتسعت ابتسامة رحمة بينما قطب وجه صفاء وهدير

*****

فضلت ارن عليها كتير وموبايلها مغلق

قالتها ريم وهي تحدث هواري في الهاتف.

فقال هواري بضيق:
- يعني خلاص كده سافرت
- مش عارفة ..بس النهاردة الاربع وانت قولت ميعاد سفرها الخميس
- خلاص ابقي حاولي تاني يمكن تفتحه لازم يرجعوا لبعض قبل ماتسافر

*****

رجعت رحمة بيتها وهي لا تعرف أ هي سعيدة بإلغاء السفر أم حزينة لذلك؟ فأعادت تشغيل هاتفها الذي كانت قد نفذت بطاريته وجدت ريم شقيقة أحمد قد حاولت الاتصال بها كثيرا وليس ذلك من طبيعتها، فظنت أن أحمد حدث له مكروه وعلى الفور هاتفتها، فتحت ريم المكالمة فقالت رحمة بلهفة:
- الو

قالت ريم:
- رحمة وحشتيني اوي

فهدأت ملامح رحمة واطمأنت أنه ليس هناك مايقلق، فقالت بحزن:
- وانتِ كمان والله ياريم
- طب مش هشوفك قبل ماتسافري
- لا خلاص مفيش سفر

قالت ريم بفرحة:
- بجد يعني خلاص مش هتسافري

قالت رحمة:
- اه والله واستطردت بس انا مبسوطة اوي انك كلمتيني حتى بعد ما انتهت علاقتي انا واحمد
- انا بكلمك عشان عايزاكي ترجعي لأحمد

قالت رحمة بحزن:
- انا فرضت نفسي على احمد كتير اوي وهو نفسه قالي ماتضغطيش عليا

قالت ريم:
- رحمة والله احمد بيحبك اوي انا مستخسرة حب جميل كده يضيع على الفاضي انا كنت ممكن اكلم احمد بس عايزاكِ انتِ اللي تكلميه انتوا متكلمتوش من فترة واكيد وحشاه اوي ايه رأيك تيجي عندنا وتفاجئيه انك ماسافرتيش

صمتت رحمة مفكرة فقالت ريم بحزن:
- عشان خاطري يا رحمة لو بتحبي احمد بجد ماتضيعيهوش انا نفسي احمد يبقى فرحان احمد تعب كتير اوي عشانا

قالت ذلك وبكت فبكت معها رحمة وقالت:
- والله يا ريم انا بحبه اوي بس مش عارفة هو ليه بيعمل معايا كده والله ما اشتكيت انا كنت مبسوطة بس هو اللي مصمم ان البعد احسن
- هو معذور والله شايل هموم كتيرة اوي بالله عليك تعذريه
- والله عذراه وعارفة ظروفه

مسحت ريم دموعها وقالت:
- طب ايه رأيك تيجي يوم الجمعة عندنا عشان اجازته وهو بيكون قاعد في النهار فوق السطح عند الغية ايه رأيك تفاجئيه انك ماسافرتيش والله المجية دي هتفرق جامد انا متأكدة

مسحت رحمة دموعها هي الأخرى وقالت بفرحة:
- خلاص ماشي هبقى اكلمك يوم الجمعة توصفيلي المكان واجي

*****

خرج أحمد وهواري من المسجد بعد انتهاء صلاة الجمعة عبثا في الأحذية حتى وجد هواري نعله وقال:
- شكل شبشبك اتسرق يا ابوكمال
- يعني ايه ده لسه جديد
ضحك هواري وقال:
- ماهو اكيد يعني اتسرق عشان لسه جديد
اشار إلى نعله وأكمل
- يعني الحرامي هيسرق شبشب زي ده مثلا

قال أحمد:
- ان شاء الله مايكونش اتسرق شكله تايه لما الناس تخرج بإذن الله هلاقيه.
ظل يبحث عن نعله بضيق حتى خرج جميع المصلين ولم يجد نعله، ظل هواري يضحك وقال:
- يابني قولتلك اتسرق من الاول ماصدقتنيش

ضحك أحمد بوهن وقال:
- طب هروح ازاي كده بقى

قال هواري وهو يضحك:
- خد شبشب من الحمام بقى وخلاص. واستطرد : فاكر لما شبشبي اتسرق وقعدت تضحك عليا البس بقى ياسطى

أخذ أحمد نعلا من دورة مياة المسجد كان نعلا بلاستيكيا وصغيرا على قدمه، مشى جوار هواري الذي ظل يضحك حتى وصل أحمد إلى بيته وقال:
- ماتيجي

قال هواري:
- لا انا هروح ونبقى نتقابل على القهوة بالليل بقى

*****

صعد أحمد عند الغية وفتح الشبكة ووضع إصبعيه في فمه وظل يصفر حتى طار

الحمام لم يستطع النظر إليه كثيرا من حرارة الشمس فتفقد الحمام الآخر الذي يرقد على البيض وذهب إلى الحمامة التي يطلق عليها اسم رومة وجلس جوارها كانت ترقد على البيض نظر لها وقال:
- رحمة سافرت امبارح خلاص ياروما كان نفسي تشوفك وتعرف اني مسميكِ على اسمها. ضحك وأكمل : أصلها كانت غيرانة منك وعايزاني اجيب دكر للدكر. سقطت دمعه من عينيه على قميصة فقال دامعا:
- مش عارف انا بكلمك ليه كأنك انسان انا نفسي مستغربني بس اصلي مش عارف انا كده ضيعتها ولا عملت الصح

أدارت الحمامة رأسها للناحية الأخرى فهز رأسه بأسف وقال:
- ضيعتها صح؟

صمت قليلا ثم استطرد:
- طب انا ندمت اعمل ايه بقى؟ وهي خلاص سافرت. ضحك بوهن وقال

- انا عييط عشان بكلمك اصلا في حد يكلم حمامة بايضة

- ولو مش بايضة تبقى عادي تكلمها يعني؟

أتاه ذلك الصوت من خلفه ظن أنه يتهيأ له صوت رحمة، فكان أبعد مافي خياله أن تأتي رحمة له إلى هنا خاصة أنه يظن أنها قد سافرت، كما أنها لا تعرف عنوان بيته من الأساس، نظر خلفه وجد رحمة وريم فأغمض عينيه وفتحها ثانية باستغراب واتسعت ابتسامته وقال بدهشة:
- رحمة! واستطرد : انتِ مش ميعاد سفرك كان امبارح؟!

قالت رحمة مبتسمة:
- اتلغى

فابتسمت ريم وثنت أصابعها وأشارت لهم بإبهاميها وتركتهم وغادرت

فقالت رحمة مداعبة:
- بتكلم الحمامة!

ضحك أحمد وقال:

- عادي مافي ناس بتكلم البحر والنيل ده الجديد بقى. واستطرد :سمعتي اني ندمت والكلام ده!

ابتسمت رحمة وأومأت برأسها إيجابا وقالت:
- وكمان عرفت ان اسمها روما

ابتسم أحمد وقال:
- ده انتِ هنا من زمان بقى. واستطرد قائلا :والله لو مرتبينها مش هتبقى مظبوطة كده وفرت عليا كتير اوي الحمامة دي

قالت رحمة:
- بس ماوفرتش عليا انا

اتجهت رحمة نحو الحمامة وقالت:
- بصي ياروما انا بحب واحد اتقابلنا انا وهو في ظروف وصدف غريبة جمعتنا ببعض حبيته اوي عمري ما كنت اتخيل اني هحب للدرجة دي هو طيب جدا وجدع اوي وابن بلد اي نعم ساعات بيتعصب عليا بس انا عذراه وعندي استعداد استناه لحد ما شعري يبيض واسناني تقع بس نفسي يفهم كده ويشيل اي اوهام من دماغه.

نظرت رحمة إلى أحمد وقالت:
- تفتكر اخليه ازاي يشيل الأوهام دي من دماغه!

ابتسم أحمد وقال:
- وديه للحلاق وهو هيظبطه.

ضحكت رحمة وأثناء ضحكها رأت نعله الذي أخذه من المسجد بدلا من الذي سرق وجدها أحمد تنظر إلى قدمه فحرك أصابعه وقال:
- والله مش شبشبي ده شبشبي اتسرق وانا بصلي خدت ده من الحمامات

قال ذلك وضحك الاثنان، فقالت رحمة:
- تعرف أصدق بيت شعر اتقال عن مصر قاله المتنبي واستطردت:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

*****

تمت بحمدالله